مواطن الشعوب الإسلامية
في آسيا
٢

تركستان الشرقية

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

تركستان الشرقية

مواطن الشعوب الإسلامية
في آسيا
٢

تركستان الشرقية

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

جَميع الحقوق محفوظة

الطبعَة السَابعَة
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيًا: اسلاميًا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة السابعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه ورسل الله أجمعين وبَعْد:

فإن التخلّف الذي ورثه المسلمون قد أدّى بهم إلى بُعدٍ عن العقيدة، وهذا بدوره قد أدّى إلى وجود مفاهيم غريبةٍ ومبادىء بعيدةٍ نشأت عنها العصبيات القومية والإقليمية وظهر معها الانجراف البشع نحو المادة والسير وراء المصالح، واتباع نظرياتٍ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ مُخالفةٍ لمبادئنا ومُباينةٍ لأفكارنا فكان ذلك ما دعا بعضهم إلى الارتماء في أحضان سدنة تلك النظريات أو أتباعهم، ورُبّما وقعوا في الشَّرَك الذي نصبه لهم أعداء الإسلام أو المُخطّطون فاحتووهم، فكان أن زاد البُعد عن النبع الصافي للإسلام وأصوله.

إن الجهل، والتخلّف، والعصبية، والسير وراء المصالح والأهواء، وفي مُخطّطات الأعداء، والانحراف عن العقيدة،

والانجراف خلف المادة كل ذلك قد أودى بالمسلمين إلى التفكير بالذات، وظهور الأنانية، والبُعد عن الأخوة، وعن شعوب الأمة الواحدة التي قضى الله أن نكون من أفرادها، ومع بداية الوعي، وظهور الدعوة إلى لمّ شتات الأمّة الواحدة، والتمسّك بالمبادىء وهذا يدعو للرجوع إلى ما فقدناه وعمّا دخل علينا وما أضلّنا.

إن التفكير بالأخوة ومعرفة شعوب الأُمّة يقتضي منا دراسة الأمصار الإسلامية كلها، والتعرّف على سكانها ومُشكلاتهم، وأفضل السبل للاتصال بهم، ومدّ يد العون لهم، والارتقاء بأفكارهم ومعارفهم دراسة أُخوةٍ لا زيادة معلومات، وهذا دلالة بداية الوعي وبدء الطريق ولكنه لم يحدث ـ مع الأسف ـ إلى الآن، لذا كان لا بدّ من أن تُسلك هذه الطريق على ما فيها من وعورة بسبب فردية العمل واحتمال الغلط ومع هذا فلا بدّ من السير وتمهيد الدرب وتذليل الصعاب للقادمين.

وبعد إنجاز شوطٍ ليس بالقصير تبيّن أن الصحوة كانت وهميةً أو مزعومةً رغم كثرة الطبعات ونفاد النسخ بسرعةٍ، إذ الرغبة في اقتناء الكتب من غير قراءة، وشراء الجديد دون استفادةٍ منه وهذا لا نريده إذ فيه شبه كبير بما عُرف بالصحوة مع أن الانهزامية فيها هي السائدة مع الدعوة إلى التخلّص منها، وبقاء تقليد الخصم والأخذ منه مع العمل لترك ذلك، والإعراض عن الأخوة والتوجّه إلى من يحارب فكرنا ومبادئنا، والسعي وراء المصالح، واتّباع الهوى، وحبّ

الزعامة، والجري وراء المادة والمنفعة العاجلة وعدم التميّز بالشخصية الإسلامية، وربما فعل هذا كله من يدّعي العمل للإسلام ويرفع لواء ذلك مع الإلحاح الدائم من الآخرين على محاربة هذا كله ولكن بعض الملحّين يمتطون هذا المركب لنعومته ومغرياته.

وأرى من الضرورة بمكانٍ العمل على البناء وإن هدم الآخرون والتميّز وإن انصهر الآخرون في بوتقة المجتمع الدولي، ومن هذا المنطلق أرى إعادة الطبع، وتقديم نماذج أخرى لعله يقرأ من لم يتعوّد القراءة، ويُفكّر من سبق له أن أعطى قياده لغيره، ويتّعظ من كان له عقل مستنير.

والله نسأل التوفيق، وسداد الخطا، والإخلاص في العمل، وحسن الخاتمة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الرياض غرة ذي الحجة من عام ١٤٠٨ هـ.

محمود شاكر

المقدمة

تركستان منطقة واحدة وإن لم يكن لرابط الأرض عظيم قيمة، ويسكنها شعب واحد وإن لم يكن للجنس كبير أثر. وصل إليها المسلمون منذ عهدهم الأول فدانت لهم، وأقاموا فيها حكم الله، حتى إذا غلبت عليهم الدنيا ضعف أمرهم، فغلبتهم التفرقة، وهزمتهم الجيوش، ثم تقاسمتها الدول، فأخذ الروس قسمها الغربي حتى عرف باسم «تركستان الروسية»، وسيطرت الصين على جزئها الشرقي فعرف باسم «تركستان الصينية»، هذا التقسيم على الرغم من أن المنطقة كلّها عقيدةً واحدةً هي العقيدة الإسلامية، ويعدّ الشعب عقيدتهم هذه هي الرابط الأول بينهم دون سائر الروابط، وهي عنصر وجودهم، وأمل بقائهم.

وبعد أن سجلنا بعض المعلومات عن تركستان الغربية كان لزاماً علينا أن نتمم المنطقة الواحدة فنبحث في القسم الثاني من تركستان في هذه السلسلة التي آلينا على أنفسنا أن نصدرها لتعريف المسلمين بمناطقهم، وأوضاع إخوانهم القائمة، وما يعانون من مشكلات.

وإذا لم تكن هذه الدراسة مستفيضة فذلك لرغبتي الخاصة في أن تكون على شكل رسائل صغيرة، يستطيع القارىء أن يطلع عليها بشكل سريع، ويأخذ منها ما يريد، فإن أيقظت من نفسه الشعور بضرورة الاطلاع على أوضاع المسلمين بشكل واسع فعليه أن يعود إلى المراجع الواسعة وما كتب عن كل منطقة بالتفصيل، ومن اكتفى بذلك فأعتقد أن هذا مختصر مفيد، إضافة إلى أن الوقت قد أصبح يضيق عن القراءة إما لكثرة الفراغ المشغول بالفراغ، وإما لضيق الوقت لملئه التام بالعمل والجهد، علماً بأن شعبنا يجهل الجهل التام كل ما يتصل بالشعوب الإسلامية، وهذا الجهل ناتج عن التخطيط الأجنبي الذي جعل كل شعب يحصر نفسه في منطقته، يدّعي القومية، وينادي بالعصبية، وينفصل عن كل ما يحيط به، ويشغل نفسه بالمشكلات التي أوجدها له الدخلاء، ونتيجة البعد عن الإسلام. إضافة إلى أن هذه المنطقة قد عزلت عنا بالستار الحديدي، فمنعت عنا أخبارها، وقُطعت عن شعبها أنباؤنا، حتى كدنا ننسى هذه المناطق كلياً وننسى تاريخها المتصل بتاريخنا، وكدنا نعدّها جزءاً من الدولة المسيطرة عليها، وهذا ما تريد تلك الدولة، وما يريده الاستعمار لنا، ونكون قد وقعنا في شرك المستعمرين من حيث لا ندري، ثم إن الجاهل بالمنطقة يكفيه أن يعرف الشيء اليسير عنها وهذا ما نيسره له، حتى إذا أخذ بالمبدأ الإسلامي، فإنه يضطر للاستزادة، ولا يزال الأعداء ـ مع الأسف ـ يملكون عناصر القوة

كلها ويضعونها لصالح سيطرتهم علينا، ولإضعاف عقيدتنا، وزيادة تفرقتنا، واحتواء جماعات منا تكون سيوفاً بأيديهم علينا، وفي الوقت نفسه لا نزال نتردّى في مواطن الانهزامية، والتبعية، والعصبية، والأنانية، والارتماء في مواقع المصالح الخاصة، والتكالب على الدنيا، وعدم صدقنا فيما ندعو إليه. فنرجو أن يتغير ما في نفوسنا من هذه الصفات حتى يغير الله ما بنا وما نقبع فيه كما نرجو أن يقيض الله له من يسلك طريق التوسع والزيادة في هذه السلسلة، والله نسأل التوفيق.

معالم وخطوط

يجد سكان السهول عناءً في ارتقاء الجبال، ويلاقي قاطنو المناطق الباردة مشقةً في سكنى البقاع الحارة، ويخاف أهل البوادي ركوب البحر، ويصعب على المرء حياةً لم يألفها وعيشةً لم يحيها، فشديد على المرء ما لم يعود، ولكن الصعاب تُذلّل، والمشقّة تزول، والعناء يخفّ على قدر الهمّة، ونبل الغاية وشرف المقصد، ولم يعرف التاريخ غاية أنبل ولا مقصداً أشرف من غاية المؤمنين ومقصد أصحاب العقيدة، كما لم يعرف همّة أعلى من همة المسلمين الأوائل.

خرج العرب المسلمون من جزيرتهم الفسيحة الواسعة ومنطقتهم اللاهبة، وانساحوا إلى كل الجهات يرفعون راية الإيمان، ويرفضون العبودية إلا لله، وينادون بالتحرّر من عبودية العبيد وعبودية الشهوة والهوى، لم يقف أمام تحقيق غايتهم شمّ الجبال وصعوبة المناخ وطول الطريق وبعد السفر.

فبعد أن فتح المسلمون بلاد ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي عام ٩٥ هـ ووصلوا إلى حدودها الشرقية، إلى سفوح تلك

الجبال الشاهقة السامقة، أعلى جبال العالم هناك حيث تنتصب هضبة بامير التي تسمى سقف العالم وجبال تيان شان وغيرها من المرتفعات الشامخة تلك الحواجز المنيعة والحدود الطبيعية، لم تحل دون تقدّمهم، ولم تقف أمام هدفهم ومقصدهم ما داموا لا ينظرون إلى الأرض، ولا يُفكّرون إلّا في الجنة، ولا ينتظرون النصر إلّا من الله. فلو كانت غايتهم السلب والنهب أو الفتح والقتل أو الاحتلال والاستعمار لثقلت بهم الخيل، وحطّت بهم الهمّة وفترت فيهم العزيمة. ولو كانت غايتهم الوصول إلى أماكن منيعة تقيهم شر الجوار، وتدفع عنهم خطر الأعداء لكانت هذه الحدود أفضل ما أوجدته قدرة الله، ولكانت الفتوحات قد توقفت عند أقدامها، واكتفت بما سجلته من انتصارات، وكما اجتاز المسلمون هذه الموانع في المشرق كذلك اجتازوها في المغرب، فركبوا البحر الذي حال بينهم وبين أوربا وسكانها، ولكنه الايمان الذي دفعهم إلى أن يتجشموا المخاطر، ويركبوا المخاوف غير مبالين. ولو كانت غايتهم المال والمغانم لما وصلوا في الأصل إلى تلك الأمصار النائية والأقاليم البعيدة، ولاقتصر زحفهم على المناطق الخصبة والأرجاء الغنية، ولابتعدوا عن الصحارى المجدبة والأجزاء الماحلة والقفار الواسعة والتي كانت في الواقع تشهد أكثر معاركهم وتقدّم جيوشهم وتحرّكاتها وهي لا تنتج إلا الشوك ولا تنبت إلا القتاد. ولو كانت غايتهم السيطرة لاكتفوا باحتلال المراكز الهامة والمواقع الحصينة خاصة وأن جندهم قليل

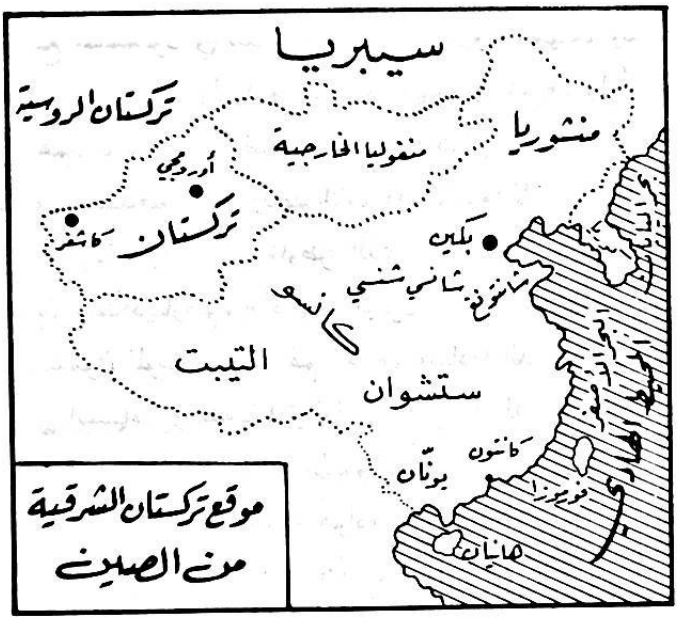
سيبريا
تركستان الروسية
منشوريا
منغوليا الخارجية
أورمجي
تركستان
كاشغر
بكين
تاتونغ
شانسي
شنسي
كانسو
التيبت
ستشوان
كانتون
يونان
فوكيان
هاينان
موقع تركستان الشرقية من الصين

وعددهم ضئيل ولكان عملهم عمل أوائل المستعمرين. ولكن غايتهم كانت إعلاء كلمة الله ونشر العقيدة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فكان كلما آمن فوج انخرط أبناؤه في صفوف المسلمين الفاتحين يحملون راية القرآن حتى انتشر الإسلام.

اندفع المسلمون في تلك الجبال، واجتازوا قممها، ونشروا الإسلام في ربوعها، ولم يلووا أثناء تقدّمهم على شيء، ولم يُفكّروا فيما وراءهم. لم يُفكّروا بأرضهم ولم يرتبطوا بترابهم، ولم يخافوا على أهليهم من بعدهم حيث وليهم الله، فلو فكّروا لأضاعوا النصر وخسروا المعركة، وعادوا إلى الموطن الذي ارتبطوا به ينتظرون الغزاة لستذلّهم، وتطأ ديارهم، وتجوس خيول أعدائهم أرضهم. ولقد طلب المسلمون الموت فوهبت لهم الحياة، وسادوا الدنيا عندما طلبوا النصر من السماء. وعندما ارتبطوا بالأرض وأخلدوا إليها أضاعوا أرضهم، وأذلّهم الله حتى سلّط عليهم شذاذ الآفاق «ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه».

انحدر المسلمون على السفوح الشرقية لتلك الجبال يرفعون راية الإسلام وينشرونه بين السكان الترك. وفتح قتيبة بن مسلم الباهلي مدينة كاشغر عام ٩٦ هـ - ٧١٤ م، وقد جاءه وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك وهو فيها، فتوقّفت الفتوحات آنذاك، لأسبابٍ عدّة وربما كان أهمها اجتهاد القائد قتيبة نفسه.

وقد راسل قتيبة من مدينة كاشغر ملك الصين، وأرسل إليه وفداً

جعل عليه هبيرة بن الشمرج الكلابي، فلما كلّمهم ملك الصين قال لهم: «قولوا لقتيبة ينصرف فإني قد عرفت حرصه وقلّة أصحابه وإلا بعثت إليكم من يُهلككم ويُهلكه»، فقال له هبيرة: «وكيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون[1]؟، وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك، وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه». وقد دفع ملك الصين أتاوة للمسلمين، ولم يغزوا بلاده، حيث شغلتهم أحداثهم الداخلية، وتوقّفت الفتوحات، وكان الاسلام قد عم تركستان الشرقية التي تقع ضمن الصين اليوم، وتعرف باسم سينكيانغ، والتي تعدّ كاشغر من أشهر مدنها وحواضرها.

اضطهد الأمويون الثائرين عليهم من أتباع زيد[2] بعد خروجه عليهم ومقتله عام ١٢٢ هـ ثم خروج ابنه يحيى من بعده الذي وجد

---

(١) منابت الزيتون: المناطق التي تصلح لنمو أشجار الزيتون، ويقصد بها هنا منطقة البحر الأبيض المتوسط المختصة بهذه الزراعة، ولا يصلح مناخ غيرها له.

(٢) زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، تنتسب إليه فرقة خاصة. لا تختلف كثيراً عن أهل السنة، فهي تعترف بصحة خلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ما دام لم يخرج عليهما علي رضي الله عنه، وتعدّ الجهاد ركناً سادساً من أركان الإسلام، وإلى زيد هذا ينتسب الزيديون في اليمن.

مصير أبيه نفسه، فلجأت طائفة منهم إلى الصين فارة بنفسها، واستقرت هناك، ونشرت الإسلام في تلك الربوع، وأدرك الأمويون منذ ذاك الوقت أن الظلم لا يمكن أن يجلب إليهم خيراً، فالقوة والشدة لا يمكن أن تغير شيئاً مما في النفوس كما أن اللين لا يصلح مع أصحاب النفوس اللئيمة الذين لا يسكتون إلا مع الحزم وكثيراً ما يخفي السكوت عن الباطل دخان الثورة التي لا تلبث أن تضطرم، وتلتهب النار الظالم وأهله، وإن كان كثير من الذين يريدون الحياة الدنيا وزينتها يسكتون عن غير الحق يرضيهم ما ينالونه ويسيرون في إذعان مثل القطيع وراء كل زعيم، ولكن أصحاب العقيدة لا يمكنهم ذلك، فضعافهم يفضلون الهجرة والعمل في دارهم الجديدة، ومتوسطوهم يصبرون ويسكتون، يعملون ما أمكنهم العمل حتى تقوى شوكتهم، وأقوياؤهم لا يزالون قائمين على الحق لا يخشون فيه لومة لائم، ولا يضرهم من ضلّ، ولا يخافون بطش ظالم، وعناد مستكبر، وبأس جبار.

توقف انتشار الإسلام الواسع بتوقف الفتوحات الكبرى، واضطراب النظام الداخلي وكثرة الأحداث، ولكن إذا كان قد توقّف انتشار الإسلام والعمل له عن طريق الجيوش والغزوات فإن العمل له لم يمت من قلوب المسلمين، ولم يضعف من نفوس المؤمنين، ففضّل كثير منهم العمل بشكل شخصي والتفرّغ للدعوة في سبيل الله والانزواء عن الميدان العام والابتعاد عن الأحداث في داخل البلاد

راغبين في الثواب والأجر في هداية البشر، وقد روي عن رسول الله ﷺ «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها». فركبوا البحر يتخذون من التجارة مجالاً لنشر الإسلام ووصلوا إلى ميناء كانتون أهم موانىء الصين الجنوبية وإلى بقية مرافىء الصين، وعاملوا سكان البلاد الذين أحبوهم، ووجدوا فيهم سلوكاً لم يعتادوا معرفة مثله، ورأوا منهم تجاراً لم يألفوهم، فاعتنق بعضهم الإسلام حباً بهؤلاء التجار، وانتشر الإسلام عن هذا الطريق أيضاً، وهكذا فالأخلاق هي الصفة التي يقترن بها المسلم، وحسن المعاملة والصدق هي السمة البارزة له، وقد أحب ملوك الصين هذه النماذج الجديدة من البشر، ورغبوا فيهم، وأولوهم العناية والرعاية، فقد روى أحد الرحالة وهو الشريف حسن بن الجلال السمرقندي من العجائب أن ملك الصين مع كفره، كان في رعاياه من المسلمين أمم كثيرة، وهم عنده مكرمون محترمون، ومتى قتل أحد الكفار مسلماً قتل القاتل الكافر وأهل بيته ونهبت أموالهم، وإن قتل مسلم كافراً لا يقتل به وإنما يطلب بديته ودية الكافر عندهم حمار لا يطلب بغيره.

وبما أن التجار المسلمين هناك كانوا يسكنون في بلاد الكفار، فكانوا إذا قدم عليهم مسلم فرحوا به أشد الفرح، ويقولون جاء من أرض الإسلام، ويدفعون له من زكاة أموالهم، فيعود غنياً كواحد منهم.

وكان التجار المسلمون ينالون ثقة كبيرة من الشعب لذلك حسنت

حالهم المادية وكانوا من الأغنياء. وسكان الصين أعداد كبيرة تضيق بهم الأرض، ولا تكفيهم زراعتهم وأعمالهم، وتحلّ بهم النكبات، وتصيبهم النوائب، ويضطر كثير منهم إلى بيع أبنائهم، فكان المسلمون يشترونهم، ويربونهم على الإسلام، ويعدونهم كالأبناء لهم تقرّباً إلى الله رغم أن الرقيق كان هو السائد في ذلك العصر.

اعتقد حكام الصين يومذاك أن المسلمين في المناطق الغربية قد ضعفت قوتهم، واضمحلت شوكتهم، وذهبت ريحهم نتيجة الاختلافات الداخلية، فقد قامت الدولة العباسية، ودالت دولة بني أمية، فتقدّم جيش صيني نحو الغرب في عام ١٣٤ هـ (٧٥١ م)، فأسرع المسلمون وهزموا ذلك الجيش الصيني، وطردوه من تركستان، وهكذا تبدّدت آمال الصينيين، وأيقنوا أن الفئات الحاكمة إن اختلفت بعضها مع بعض وتنازعت، فإن الشعب قادر على الصمود، يجاهد في سبيل الله، وأن الحكام وإن شرعوا للناس حسب أهوائهم وشهواتهم فإن الشعب المسلم يرفض إلا شريعة الله. وبعد هذه الهزيمة ضعف مركز ملك الصين وكان يسمى «سوتسونغ» فثار عليه التتار بزعامة (الكوشان) وذلك في ١٤٠ هـ ـ ٧٥٦ م، فاستنجد ملك الصين بأبي جعفر المنصور، فأنجده بكتيبة مؤلفة من ٤٠٠٠ جندي قضت على الثورة، وأعادت لملك الصين السطوة. وقد يتساءل بعضهم ما هي الفائدة التي يجنيها المسلمون من هذه النجدة؟ إن مما لا شك فيه أن من مصلحة المسلمين أن تكون على حدودهم

دولة متداعية لهم فضل حمايتها، وهذا الفضل يجعل انتشار الإسلام سهلاً حيث لا تقف أمامه الدولة، وهو دين الفطرة فتتقبله النفوس، وتعتنقه القلوب، وهذا خير من أن تقوم دولة جديدة تستنهض الشعب لقتال المسلمين وتحارب دينهم تعصّباً وهوىً. واستقرّ أكثر جند هذه الكتيبة هناك، وتزوّجوا من نساء صينيات، فعُرفوا على حقيقتهم، وعرف واقع دينهم، فتقبّل كثير من الصينيين هذا الدين واعتنقوه، وتناسل المسلمون بسرعة أكثر من الصينين حتى تكاثروا، وزاد عددهم، وأصبح لهم وزن في الحياة العامة، فقد ثاروا في مدينة كانتون لعام ١٤٢ هـ - (٧٥٨ م) على الضرائب الباهظة التي فرضت عليهم، فاستطاعوا أن ينالوا شيئاً من حقهم، ويأخذوا بعض مطالبهم. هذه الزيادة في عدد المسلمين دفعت بالمتعصبين من الوثنيين أن يقاوموا المسلمين، ولما لم تستطع الحكومات أن تؤمّن مطالب هؤلاء المتطرّفين قام أحد الثوار من المتعصبين يُقاتل المسلمين، وقد أفنى منهم ما يقارب مائة ألف مسلم وذلك في عام ٢٦٦ هـ - (٨٧٩ م).

وفي عهد الحكم المغولي استطاع أن يصل إلى حكم منطقة يونان رجل مسلم يعرف باسم السيد الأجل فحكم المنطقة بالعدل، وانتشر فيها الإسلام، ومات السيد الأجل ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م)، وبقيت أسرته وأحفاده أصحاب مركز إلى القرن العشرين، لما كان للسيد الأجل من فضل على المنطقة وتقدير الشعب له.

كان قد تولّى أمر المغول بعد جنكيز خان ابنه أوغطاي خان، وكان قائداً ماهراً، ولكنه توفي فجأة عام ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م)، وقام نزاع على وراثة العهد، وأخيراً استولى على العرش مانغو خان عام ٦٤٩ هـ (١٢٥١ م) فولّى أخاه قبلاى خان امبراطوراً على الصين، وبدأ بذلك العهد المغولي في الصين ٦٧٥ هـ واستمرّ حتى عام ٧٦٩ هـ وكان مانغو قد سير أخاه الثاني هولاكو ليغزو غربي آسيا، وكان هذا عدواً مبيناً للإسلام.

وقد استعمل قبلاي خان عدداً من العمال المسلمين في منطقة يونان، لما عرف عن العمال المسلمين من إخلاص في العمل، واتقان في الصنعة، فالعامل المسلم مثال النزاهة والتضحية، فهو يعمل بجدٍ، ويأخذ أجره بحق، ويحاسب نفسه، ولهذا كانت البضائع الإسلامية تفوق كل مثيلاتها. وقد استقر هؤلاء العمال في منطقة يونان، كما شجعوا المسلمين على الهجرة إلى تلك المنطقة.

وأسلم الاويغور[1] وهم سكان منطقة كانسو، فلما أسلموا أسلم جميع سكان الشمال والغرب من مملكة جغطاي[2]، وأضحى المغول من المسلمين الذين يعملون لنشر الدين، وكانت الصين مقسمة إلى تسعة أجزاء يحكم كلاً منها خان نيابة عن الخان الأعظم وهو ملك

(١) الاويغور: القبيلة التي انحدر منها جنكيز خان.

(٢) جغطاي: هو الابن الثاني لجنكيز خان وقد جعله على منطقة تركستان والاويغور بينما كان ابنه أوغطاي ولي عهده.

المغـول. وقـد استـطاع الصينيـون طـرد المغـول عـام ٧٦٩ هـ (١٣٦٨ م)، وأثناء طردهم قتلوا أعداداً كبيرة منهم، ومـع ذلك فقـد بقي الإسلام ينتشر بين سكان الصين، وقد ساعد على هـذا الانتشار أن المسلمين لم ينتقدوا مبـادىء المعلم الصيني كونفـوشيوس، فتجنب هـذا النقد حمـاهم من الاصطدام المبـاشر مـع أتبـاعـه الـذين يمثلون القسم الأعظم من السكان، وعلى هذا فالدعوة تكون بتبيـان المبادىء وعرضها بشكل سليم وصحيح دون نقـد غيرهـا، لأن هذا النقـد لا يؤدي إلا إلى قيـام ردّ فعلٍ أصحـاب المبـادىء الأخـرى ولـو كـانت هـزيلة وسطحيـة، حيث كثيراً مـا يتعصب الناس لمبـادئهم عن غـير علم.

واستمرت الدعوة للاسلام في عهد أسرة (منغ) ٧٧٠ ـ ١٠٥٢ هـ ولكن لما أصبح الحكم للأسرة المانشورية التي استمرت سيطرتها أكـثر من ثـلاثة قـرون (١٠٥٤ ـ ١٣٢٩) هـ ـ (١٦٤٤ ـ ١٩١١) م، فقـد اضطهدت هذه الأسرة المسلمين وسامتهم سـوء العذاب، فصـادرت أملاكهم، وأخذت أموالهم، وانتهكت حرمـاتهم، مما جعـل الثورات تنـدلع في كـل مكان من قبـل المسلمين. ولما أعيت الحيلة الحكام في الحصـول عـلى النصر حيث لا تغلب العقيـدة بـالسيف لجؤوا إلى الـدسائس بـين المسلمين حيث فـرّقوا صفـوفهم وأخمدوا ثـوراتهم. وأخيـراً استتبّ لهم الأمر، وسنتكلم عن أهم هـذه الثورات عنـدمـا نتكلم عن مناطق تجمع المسلمين في الصين.

عبرة وتاريخ

انبلج نور الاسلام، فأضاء الجزيرة العربية، وحمله المسلمون إلى الدول الكبرى المتاخمة لها، للقضاء على الظلم فيها، وأسرع الفرس والرومان الذين خشوا على سلطانهم ونفوذهم، وخافوا من امتداد الإسلام، فبدؤوا ينشرون الدعاية المغرضة والآراء المضللة ليقف العالم كتلةً واحدةً في وجه هذه الدعوة الجديدة التي ظهرت من الجزيرة العربية، فأعلنوا أن حكومة عسكرية قد قامت في بلاد العرب، وبدأت في السيطرة على ما جاورها والانسياح، نحو جيرانها، والقصد معروف من هذا الادعاء، ولكن هذه الدعاية لم تُجدِ نفعاً لأصحابها ومروجيها فلم تلبث أن زالت دولة الفرس، ودانت أكثر أجزاء الدولة الرومانية للإسلام وغدت رقعةٍ من أرضه، ثم لم يلبث الإسلام أن طرق أبواب الصين، فزاد خوف الرومان من أن يعم الدين الجديد المشرق، ويتمّ القضاء على البقية الباقية من دولة الروم، وخاصة بعد تبادل البعثات بين المسلمين والصين.

وأرض الصين واسعة يقيم فيها الكثير من السكان حتى ليقربوا من ربع سكان العالم في كل عصر، هذا العدد الكبير، والانتشار

الواسع للإسلام بينهم جعل أوروبا تخشى أن يعمّ الاسلام الصين ـ كما خاف الفرس والروم من قبل ـ فبعد الحروب الصليبية التي شنتها أوربا على أرض الإسلام أيقن الصليبيون أنهم لا قبل لهم بالمسلمين، وكانت أوربا بعد ذلك في فترة توسعٍ وانتشارٍ، وكان أكثر ما يرهبها الاصطدام بالمسلمين الذين يعلنون الجهاد المقدس، فيقاتل المسلمون مندفعين بقوة الإيمان التي لا تقف أمامها قوة معنوية أو مادية، لهذا حرصت أوربا للعمل على وقوف انتشار الإسلام في الصين، وسعت بكل جهدها لهدم الإسلام ومبادئه من الداخل، فعمدت إلى نشر النظريات الغريبة والأفكار النظرية وإدخالها في مناهج التعليم، وكان العالم الإسلامي يمرّ في مرحلة من الضعف والتخلّف، ويريد النهوض من كبوته بالاستفادة مما في الغرب، لذلك انتشرت بين أبنائه الأفكار المسمومة، ومن ناحية أخرى عملت أوربا للتفريق بين صفوف المسلمين في كل مصرٍ من الأمصار.

شجعت أوروبا المسلمين في الصين على الثورات، فقامت ثورة في كل ناحية من النواحي بمكرٍ صليبي عمل أيضاً على تحريض الأسرة الحاكمة في الصين للقضاء على المسلمين، وشنّ حرب إبادةٍ تامة لهم، ولما لم تنجح في كثير من الأحيان عملت على توظيف عدد من المسلمين الذين يعتقدون أن النفع والمال بيد السلطان، وأعطت بعضهم الآخر أموراً إدارية ممن يُغريهم المنصب ويُبهرهم المركز، وهذا ما جعل المسلمين تتفرّق كلمتهم، وينقسم صفهم، فيقف

بعضهم بجانب الحكومة، والآخر بجانب أعدائها، ويصطدم بعضهم مع بعض، وكانت الكلمة في النهاية لأعدائهم الذين استطاعوا أن يقضوا على الثورات الواحدة تلو الأخرى، فذهبت ريح المسلمين، وارتفعت ريح غيرهم، وقد راق هذا الفعل أوربا وظنّت أنها تخلصت من المعادين لها في الشرق الأقصى، وأنها قد انتصرت عليهم، وخلا لها الجو من كل منافسة هناك، ولكنها لم تستطع أن تقطف ثمرة عملها هذه كاملة، فلم يمض وقت كبير حتى اشتعلت الثورة الشيوعية، وسيطرت على كل البلاد، وقامت تحارب الغرب وهذا ما أقضى مضاجعه وذلك بسبب العدد الهائل كما ذكرنا، وإن كانت لا تزال تشعر بشيء من نشوة النصر، لأن خوفها من الإسلام وعداءها له لا يقاس بغيره، إن بين الشيوعية والرأسمالية صلة رحم يقرب بعضها من بعض وتجعلهما تتفّقان في كل موضوع يقف الإسلام طرفاً فيه، فهما على خطٍ واحدٍ ودائم ضدّ الإسلام.

تركستان الشرقية

تركستان الشرقية والغربية جزء واحد فصل بينهما العدو الواحد واقتسم الأرض فيما بينه وحدودها معها خط توزيع المياه، وتعدّ منطقة قارية تماماً، فهي أبعد مكان في العالم عن البحر، كما تحجزها الجبال العالية أيضاً، فجبال هيمالايا الشاهقة تمنع وصول أثر المحيط الهندي إليها وتبعد عنه مسافة ١٩٣٠ كم، ولذلك فالحرارة شديدة صيفاً والبرودة شديدة شتاء، وتتألف تركستان الشرقية من خمس مناطق:

١ ـ جبال آلتاي:

وهي في الشمال تفصل تركستان عن منغولية، ويقع القسم الأعظم منها في منغولية، وكانت موضع نزاع من أجل الحدود، يصل ارتفاعها إلى ٤٠٦٠ م، ويكون اتجاهها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، ومن سفوحها الجنوبية ينبع نهر (ارتيش)، ويجري نحو الغرب ويدخل تركستان الغربية ثم الأراضي الروسية لينتهي في المحيط المتجمد الشمالي مع نهر (أوبي).

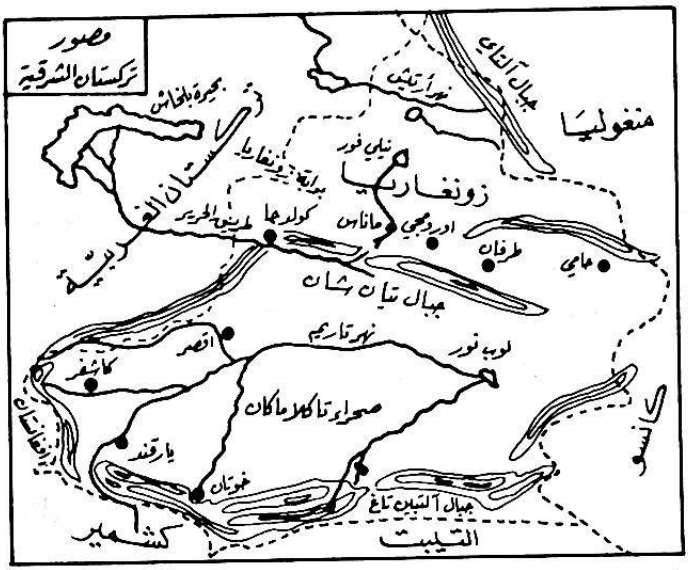
خريطة
تركستان الشرقية
بحيرة بلخاش
منغوليا
جبال آلتاي
نهر أرتش
زونغاريا
نهر إيلي
بحيرة زونغاريا
كولجا
مانا
أورومجي
طرفان
حامي
جبال تيان شان
نهر تاريم
لوب نور
كاشغر
صحراء تاكلاماكان
يارقند
خوتان
جبال آلتين تاغ
التيبت
كشمير
أفغانستان
الصين

٢ ـ حوض زونغارية:

يقع بين جبال آلتاي في الشمال وجبال تيان شان في الجنوب، وفيه ممرات نحو تركستان الغربية، وتفيض المياه في أحواض داخلية وأهم هذه المجاري المائية نهر (ماناس)، وتتجمع مياهه من السفوح الشمالية لجبال تيان شان، ويصب في بحيرة (تيلي نور)، بينما القسم الشرقي صحراوي تماماً، والمناخ في حوض زونغارية قاسي ومع ذلك يسمح بزراعة الحبوب والفاكهة عدا التين والعنب.

٣ ـ جبال تيان شان:

جبال شامخة يقع معظمها في تركستان الغربية، ويصل ارتفاعها إلى ٧١٥٨ م ونظراً لهذا الارتفاع فإن الجليد الدائم يغطي قممها، ويُشكّل الثلاجات الدائمة.

٤ ـ صحراء تاكلاماكان:

كما يطلق عليها اسم حوض تاريم، وهي حصراء واسعة تصل مساحتها إلى ٦٤٧,٢٢٠ كم٢، وهي أكثر الصحاري جفافاً في العالم، تنعدم فيها الأمطار تقريباً، ويختفي النبات، وتستحيل الحياة عدا بعض الواحات عند مخارج الأودية، والسفر عبر هذه الصحراء صعب، فمعالم الطرق متغيرة والسير عليها شاق، وكثيراً ما يهوي المرء في مهاويها، ويجري فيها نهر تاريم الذي يبلغ طوله ١٥٠٠ كم وتسمح له غزارته باجتياز هذه الصحراء، ويتشكل نهر تاريم من

ذوبان الثلوج المتراكمة على الجبال الغربية والمجاورة ومن جداول صغيرة تقوم عليها المدن (يارقند) و (كاشغر) و (اقصو) وغيرها وأحياناً تتبخر المياه في الجداول قبل أن تصل إلى النهر، ويصبّ نهر تاريم أخيراً في بحيرة (لوب نور) في الشرق.

ويمكن أن نلحق بصحراء (تاكلاماكان) منخفض (طرفان) الذي تحيط به الجبال، فتمنع عنه الرطوبة، وتنعدم الحياة إلا في واحة طرفان، وينخفض عن سطح البحر ٢٧٨ م.

٥ ـ جبال التين تاغ:

وتعزل التيبت عن تركستان، ويصل ارتفاعها إلى ٦٠٠٠ م.

والأمطار قليلة في تركستان الشرقية، وإذا هطلت فهي نتيجة التبخر المحلي، ويهطل في (أورومجي) ٢٢٥ مم بينما ينزل في (يارقند) ١٥٠ مم.

الحياة الاقتصادية

إن لأقنية الري في هذه المنطقة الجافة أهمية كبيرة، وإن الخرائب والأطلال التي تنتشر في كل مكانٍ تُشير إلى إعمار زراعي سابق يرتكز على تكاثف بشري كبير يوم كان للإسلام دولة، ولكن التقلبات السياسية وعدم الاستقرار والمسؤولية والتفكير في مصلحة المسلمين كل هذه الأمور قلبت الماضي الزاهر إلى حاضر أليم.

ويسود في البلاد أسلوبان للزراعة: الزراعة البعلية ولا تشكل إلا جزءاً ضئيلاً من مجموعة الأراضي الزراعية، وتقوم في المناطق التي تتلقى من الأمطار ما يكفي لزرع مزروعات قليلة، وتعدّ (زونغارية) أهم منطقة للزراعة البعلية حيث تحتلّ فيها ما يعادل ١٥٪ من المساحة العامة المزروعة، وأهم المزروعات البعلية الحبوب وخاصة القمح. والزراعة المروية وهي الشائعة في تركستان الشرقية رغم جهد السكان الدائب للحصول على الماء، وأن الغيوم التي تتلبد في سماء البلاد بصورة استثنائية، تضرّ بالزراعة ضرراً بالغاً حيث تحجب أشعة الشمس فتؤخر إذابة الثلوج المتراكمة على قمم الجبال، وإذا ما علمنا أن معظم أنهار وجداول تركستان ذات تغذية ثلجية، تفيض

عند ذوبان الثلوج، أدركنا مدى الأذى الذي يلحق بالزراعة من شحّ الأنهار نتيجة تأخر ذوبان الثلوج.

ويعدّ القمح أهم المزروعات وهو شتوي في (زونغارية) وربيعي في حوض تاريم، ثم الذرة وقد أدخلت زراعتها عام ٩٥٨ هـ (١٥٥٠ م) من قبل الحجاج أثناء زيارتهم لبلاد العرب. ثم هناك الرز والشعير، وتبلغ المساحة المزروعة بالحبوب ١٪ من المساحة العامة.

ثم هناك القطن ويزرع منذ زمن بعيد، ويجود في المنطقة الجنوبية.

التبغ: وتقوم زراعته على السفوح المنخفضة.

الفاكهة: وتزرع في المنحدرات الجبلية، وضفاف الأنهار، وفي الواحات، وتشتهر واحة (طرفان) بالثمار وخاصة العنب، ويجود البطيخ الأصفر في واحة (حامي).

وتوجد الأعشاب في السفوح الجبلية المعرضة للرطوبة، والبدوي ينتقل طيلة أيام السنة طلباً للماء وانتجاعاً للكلأ، وفي فصل الصيف يرتاد الرعاة الجبال حيث تذوب الثلوج وتنمو المروج، وأهم الحيوانات الأغنام، والماعز، وحيوان الياك، وتربّى في السفوح الجبلية، بينما يعتنى بتربية الأبقار في الواحات، والجِمال ذات السنامين في قلب الصحراء.

ورغم أن الدراسات الجيولوجية لا تزال ضئيلة فإنها تدلّ على

وجـود كميـاتٍ كبيـرةٍ من الفحم الحجـري وبـالأخص شمـال (كولدجـا)، وكميات من النفط كـائنة في الحـوض الشمالي من تيـان شان وخاصة حول (أوروبجي) ثم التنغستين، والرصاص، والتوتياء، وهناك الصودا والملح.

وكانت الصناعة بسيطة تؤمن الحاجات المنـزلية والـزراعية، وكـان القطن يرسل إلى شنغهاي حيث يصنـع هناك، ثم تقـدمت الصناعـة واستخـرجت كميات من الثـروة الباطنيـة، وأهم مـراكـز استخـراج الفحم في (أوروبجي) العاصمة، كذلك تقدمت الصناعة النسيجية.

وتعدّ تركستان منطقة تجاريـة بالـدرجة الأولى بسبب مـوقعها المهم بين سيبيريا، ومنغوليـا، والصين، والتيبت، والهنـد، وكشمير، وقـد كانت منذ القديم صلة الوصـل بين الشـرق والغرب، فـرغم الإطار الجبلي الذي يحيط بتـركستان الشـرقية فهنـاك ممرات عـديدة، فبـوابة (زونغارية) الانهداميـة التي لا يزيـد ارتفاعهـا على ٣١٨ م، وطـريق الحرير المعـروف، كما أن السكـك الحديـدية قـد وصلت بين الصـين وسيبيريا عبر تركستان.

الحياة البشرية

تبلغ مساحة تركستان الشرقية ١,٧١٠,٧٤٥ كم٢ أي أكبر من مساحة ليبيا وتساوي ما يقارب عشرة أمثال مساحة الجمهورية العربية السورية. ويبلغ عدد سكانها ثمانية ملايين نسمة، فالكثافة قليلة لا تزيد على خمسة أشخاص في الكيلو متر المربع الواحد، وليست قلة الكثافة هذه نتيجة ضيق الأرض الزراعية فحسب وإنما تعود إلى الأحداث التي مرت على البلاد، والنكبات السياسية التي اجتاحتها، فقلبت العهد الزاهر يوم كان الإسلام يحكم تلك الأرجاء إلى أطلال وخرائب وإن كان قد تضاعف عدد السكان في المدة الأخيرة حسب الجدول التالي:

العام	عدد السكان
١٣٦٤ هـ	٣,٨٧٠,٩٥٤ نسمة
١٣٧٣ هـ	٦,٠٠٠,٠٠٠ نسمة
١٣٨١ هـ	٧,٣٥٠,٠٠٠ نسمة
١٣٨٧ هـ	٨,٠٠٠,٠٠٠ نسمة
١٣٩٩ هـ	٩,١٠٠,٠٠٠ نسمة
١٤٠٨ هـ	١٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة

وهذه الزيادة ناتجة عن زيادة المواليد الكبيرة لدى المسلمين، وهذا شيء ملحوظ في أكثر البلدان الإسلامية، ثم إلى تحسن مستوى المعيشة، وارتفاع المستوى الصحي، وتدفق المهاجرين الذين أتوا لاستعمار البلاد.

وسكان تركستان لا ينتمون إلى جنسٍ واحدٍ، فقد جعلها موقعها التجاري عرضة لمرور أجناسٍ كثيرةٍ، ولدخول أقوامٍ عدةٍ، تأتي للسيطرة عليها والمحافظة على الطريق التجارية، أو تعمل في التجارة ثم تستقرّ فيها، أو فراراً من مناطقها، وأهم هذه الأجناس:

الأويغور: ويشكلون ٨٠٪ من السكان، ويسكنون النصف الجنوبي من تركستان.

القازاق: ويشكلون ٩٪ من السكان.

صينيون: ويشكلون ٥٪ من السكان.

القيرغيز والأوزبك: وقد قدموا من تركستان الغربية عندما بدأ الروس يسيطرون على بلادهم في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، ولم تكن تركستان الشرقية قد وقعت بعد في قبضة الصين بشكل نهائي.

المغول: وقد دخلوا البلاد في القرنين السابع والثامن الهجريين.

الهوي: وهم من أصل عربي، وينتسبون إلى العرب المسلمين الفاتحين الذين قدموا مع قتيبة بن مسلم الباهلي.

الروس: الذين فروا إليها مُؤخّراً.

يبني السكان منازلهم من الآجر المشوي، أو الطين المخلوط بالقش، وتسند هذه المادة هياكل خشبية، وتمتاز البيوت بأنها ضيقة، وتتكاثف بعضها إلى بعض، شأنها في ذلك شأن كل العمران القديم وخاصة المناطق التي يقلّ فيها الأمن، وتتعرّض البيوت لمداهمة اللصوص، إضافة إلى أن سكان الواحات هم في حالة تعرضٍ دائم لسكان المناطق الصحراوية المجاورة لها، وهجماتهم، ولكن بدأت تظهر الأبنية الحديثة إلى جانب القديمة.

واللباس السائد هو القميص الطويل، والسراويل، وكلها مصنوعة من القطن الملون، وهذا النوع من اللباس هو الشعبي، بينما يلبس الأغنياء الحرير والفرو والأقمشة الأجنبية.

انتشرت اللغة العربية بعد الفتح مع انتشار الإسلام، وأصبحت الرسمية والوحيدة، وعندما ضعفت الخلافة الإسلامية عمّت الفارسية، ثم سادت التركية، ويتكلّم السكان اليوم اللغة التركية، أما الكتب الدينية فأكثرها بالعربية، وتليها الفارسية، وهذا شأن كل البلاد الإسلامية يريد سكانها التعرف على اللغة العربية ولكنهم لا يجدون سبيلاً إلى ذلك، فالعلماء في تركستان يعرفون العربية وبعضهم يعرف الفارسية بجانبها، وبعضهم يفهمون العربية إذا خاطبهم الإنسان ولكنهم لا يستطيعون التعبير.

ويمارس السكان الزراعة وتربية الماشية، وإن كنا نستطيع الآن أن

نضيف نمطاً آخر للحياة هو ممارستهم الصناعة.

ويدين أكثر من ٧٥٪ من السكان بالإسلام، وهم جلّ السكان الأصليين، أما السكان الوافدين، فقد احتفظ كل بديانته التي قدم بها، وقبل القرن الحالي كان أغلب الذين يهاجرون إلى تركستان يعتنقون الإسلام بعد مدة إن لم يكونوا من المسلمين، أما الآن فقد انقطع الدخول في الإسلام الذي توقف انتشاره أيضاً، بل لم يعد للدين أي مركز، حتى كاد يمحّى من الحياة الاجتماعية وانطمست معالمه ومظاهره، فالحرب تشنّ عليه وعلى دعاته، ويُحارب بكل وسيلةٍ، وتوضع المخططات لذلك والمناهج، أما من القلوب فالله أعلم بالسرائر، والقلوب حصون تبقى عامرة بالإيمان ولا يمكن أن يزول منها بسهولة، حتى إذا عمل الإيمان عمله عاد الحق إلى أصحابه في البلاد.

يعيش سكان تركستان في واحات تقع على مجاري الأودية في سهل (زونغارية) وحوض (تاريم) وأهم هذه الواحات:

اورومجي: وهي عاصمة تركستان وتقع في جنوب سهل زونغارية وقد أضحى اسمها اليوم (تيهوا).

كاشغر: تقع على رافد صغير لنهر تاريم، وقد فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي وكانت مركز المنطقة وتسمى اليوم (شوفو) ويبلغ سكانها ٧٠ ألف نسمة.

يارقند: في حوض تاريم الاعلى، ويبلغ عدد سكانها ما يقارب ٣٠٠ ألف نسمة وتسمى اليوم (سوجي).

خوتان: وتقع على رافد كبير لنهر تاريم، وسكانها اليوم ١٠٠ ألف نسمة وتسمى اليوم (هوتين).

اقصو: ويبلغ عدد سكانها ٤٠ ألف نسمة وتقع في الغرب وتسمى اليوم (ونسوه). ثم هناك واحة طرفان، وواحة حامي في أقصى الشمال الشرقي، ويطلق عليها اليوم اسم (كومول).

ومن الملاحظ ان المدن قد تغيّرت أسماؤها، لينقطع حاضرها عن ماضيها الاسلامي الزاهر، وكذلك فالتاريخ لا يدرس إلا اعتباراً من القرن الحالي، وينسب للماضي كل صفات السوء من جهلٍ وفسادٍ واختلالٍ لنظام الامن، وانتشار للخرافات، والعقائد الباطلة التي صنعتها البورجوازية واطلق عليها اسم الدين ـ حسب الاصطلاحات التي تطلقها الشيوعية ـ.

بيان وتوضيح

تطلّع الصينيون إلى حكم تركستان منذ القديم لكثرتهم حتى كادت أرضهم تضيق بهم على رحبها وسعتها في حين أن تركستان وهي تجاورهم فقيرة السكان قليلة الموارد، ولكنها في الوقت نفسه ذات مركز تجاري مهم. فقد حكمتها اسرة هان الصينية منذ عام ٢٠٠ قبل الميلاد، ولم يكن الحكم الصيني هذا مستمراً، كما لم يعمل لإعمار البلاد كما فعل في منشوريا، وإنما كان الصينيون تجاراً يُقيمون في الواحات، ويُشرفون على الطرق الرئيسية. وهكذا كان الاستعمار آنذاك يكتفي بتأسيس مراكز يسيطر منها على ما يريد، وكانت الزعامة والسيطرة هي التي تحتلّ المركز الأول في المجتمعات، وكانت متطلبات الحياة بسيطة، فحكمت الصين تركستان ولا تبغي من ذلك إلاّ الهيمنة والتعالي، فأقامت في المراكز ذات الأهمية الخاصة، وأخذت الأتاوة من القوافل والضرائب من الشعب، وعاش الصينيون حياة العزة والكبرياء حاكمين مترفعين وأغنياء موسرين.

ثم وصل العرب المسلمون إلى تركستان، وشعّ النور فيها، وعمروها أحسن اعمار، وتركزت دعائم الحضارة، فخيّم الأمن،

وساد العدل، وعاش السكان في بحبوحة من العيش الرغيد والرخاء لا يعادلها حياة أخرى في الدنيا، وأخيراً ضعف الحكم بسبب الخلافات التي ذرت قرنها في المجتمع، والعصبيات التي وجدت، ثم قامت الأعمال الانفصالية وخاصة في شرقي الخلافة.

كل ذلك عندما غلبت عليهم الدنيا، واستبدت بهم الأطماع، فما غلبت الدنيا على قوم إلا فرّقتهم،وما تفرّق مجتمع إلا انصرف أفراده بعضهم إلى بعض يتقاتلون، وما تقاتل أبناء شعب إلا أذلّهم عدوّهم، وقهرهم خصمهم.

ثم جاء المغول، وحكموا البلاد، وأخيراً عاد الصينيون للسيطرة على تركستان ولكنهم في هذه المرة بدؤوا يستولون على البلاد جزءاً جزءاً، فما تركوا نقطة إلا وكانت تحت إشرافهم ومراقبتهم، كما تسللوا إلى الحياة الاقتصادية من صناعة وتجارة وزراعة في جميع أرجاء المصر، لأنهم لم يستطيعوا في هذه المرحلة القبض على زمام الأمر باحتفاظهم بمراكز قليلة، فقد دان السكان بالإسلام، وأصبحت لهم شخصية متميزة، وما امتاز انسان بشخصه إلا وكانت له الكرامة، والكريم يرفض الذلّ والعبودية، ويطلب العزّة والاستعلاء، وما امتازت دولة بشخصيتها إلا وكانت لها المنعة والقوة والغلبة.

وقد أدركت الصين أن هؤلاء القوم غير ما كانوا بالأمس، فقد قلبهم الإسلام من أناس يقبلون الذلّ والخضوع، ويرضون بالأجنبي والخنوع إلى أناس يرفضون الاستعمار والعبودية، ويمتنعون عن

الوصاية والواقع الأليم وحكم الدخيل وهذه وظيفة الإسلام، كما أدركت الصين أن السيطرة عليهم توجب الإشراف على كل مرافق الحياة، وتوجيه كل أجهزة الدولة، وليتمكن الصينيون من الاستمرار في الحكم عمدوا إلى إضعاف شخصية التركستانيين وذلك بإبعاد الإسلام عن النفوس ثم جعلهم يرتبطون معهم في نظام اقتصادي واحد ومعركة سياسية واحدة، وبذلك تضمحل شخصيتهم ويقبلون الذلّ، فيمكّن هذا للصين في الحكم، ولكن ذلك لم يتم بشكل سهل، ولم يحدث بلا مقاومةٍ، فقد قامت ثورات كبيرة، وأريقت دماء كريمة، وسقط شهداء بررة في سبيل المحافظة على الشخصية الإسلامية وتمييزها عن غيرها في الاقتصاد والسياسة والحكم، فما ارتبط شعب بغيره إلا اضمحل كيانه، وأصبح ملحقاً بغيره لا قيمة له بين الشعوب، وما سار مجتمع في ركب سواه إلا ذابت شخصيته، وانعدم مركزه، وأضحى تابعاً لغيره من المجتمعات تحرّكه بيدها، وتسيره حسب إشارتها وعندئذ يصل إلى مرحلة الموت تعلوه كل العلائم التي تشير إليها وإن كثر الصياح، وقوي الكلام، فقد يتحرّك الجسم، ويغلظ الصوت في اللحظات التي تسبق زهوق الروح:

ضعاف الأسد أكثرها زئيراً وأصرمها اللواتي لا تزير

سار الاستعمار في جميع بلاد الإسلام على هذه الطريق، فقد ابتدأ الاستعمار البرتغالي بتأسيس مراكز له على السواحل، واكتفى بذلك، ومنها كان يشرف على الداخل، ولكنه لم يستطع الاستمرار

في عمله هـذا، بل كـانت تهب عليـه العـواصف التي تثيـرهـا يقـظة المسلمـين فتلقي بـه في البحـر بعيـداً عن مـواقعـه. ثم خلف هـذا الاستعمـار البرتغـالي استعمـار أشـد دهـاء وأكـثر مكـراً وتخـطيـطاً، كالاستعمار الانكليزي الذي أدرك ما وقع فيـه البرتغـاليون، وعـرف حقيقة الأمر، وأيقن أن الإسلام وراء كل قوة، فخطط للسيـطرة على كـل مصرٍ بشكل تـام وإبعـاد الإسـلام عن الحيـاة، وبـذلـك تكـون شخصيـة البلاد قـد تلاشت واضمحـل كيانها، وعنـدها يستـطيع أن يعـطي البلاد مـا يسميه الاستقـلال، ويسحب قواتـه العسكريـة من أرضهـا، حيث لا داعي لوجـودها، فهـو يستطيـع أن يُـوجّـه البـلاد بالأفكار، أو يُشـرف على الحكم بـواسطة العمـلاء والأنصار، أو عن طريق الدعايات للمعركة الواحدة والسياسة المشتركة والعـدو الواحـد والنـظام المشترك والسـلام العالمي ومـا إلى ذلك من كلمـات انتقاهـا لتبقى البلاد في قبضته ولا تخرج عن إرادته، خيـراتها بيـده، وآراؤها بقلمه.

قامت الثورات في تركستان ضـد الحكم الصيني، واستمرت أكـثر من مائة عام (١١٧٢ ـ ١٢٩٠ هـ) (١٧٥٨ ـ ١٨٧٣ م)، قامت عـلى شكـل طفرات بلغ مجمـوعها خمس، كـانت تقوم في كـل مـرة عـدة ثـورات، وفي عـام (١٢٩١ هـ) (١٨٧٤ م)، استـطاعت حكـومـة الصين الاستيلاء على سلطنة كاشغر، وتمكّنت من أن يتـربّع كـابوس حكمها على السكان، ويمتدّ نفوذها على الاقتصاد.

نهج وسبيل

قام المسلمون بثوراتهم في الصين بعد أن لاحظوا أن كيانهم مهدد بالزوال ونفوذهم سائر نحو الاضمحلال، وشخصيتهم معرّضة للضياع إذا استمروا على ما هم عليه من الضعف والقبول بالخضوع لغيرهم وسيطرته عليهم حيث لا يستطيعون أن يكونوا أمة واحدة مع غيرهم من أهل الصين فهم يختلفون معهم في مفهومهم عن الحياة وتصوراتهم وأنظمتهم واعتباراتهم ومقاييسهم، ولكنهم يكونون أمة واحدة مع بقية المسلمين أينما كانوا وتختلف عن بني جنسهم من الصينيين غير المسلمين، لأن الأمة ليست أرضاً يعيش عليها السكان ويستثمرونها ويرتبطون بها، فقد يعيش الإنسان مع جيرانه على أبشع صورةٍ من الاختلاف والتباعد إذا كانت أفكارهم غير متجانسة وآراؤهم غير متفقة حتى ليبحث الجار عن الوسيلة التي يتخلّص فيها من جاره والطريقة التي يتبعد فيها عنه، وكم يعاف الناس أرضهم ويهجرونها عندما يختلفون مع قومهم في الفكرة ويتباينون في العقيدة، كما أن الأمة ليست جماعة كانت في التاريخ ذات أمجاد وحضارة فكم من أمة انبعثت حديثاً وارتفعت لأول مرة حتى وصلت إلى أعلى الذرا ولم تقم على أمجاد ولم تعتز بماض، بل تعدّ ماضيها جاهلية وغابرها

تأخّر وتناحر، فالشيوعيون يعدّون بداية أمتهم منذ قامت ثورتهم وطبقت أنظمتهم. والمسلمون يعدّون ميلاد الأمة الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ، وتاريخنا من رسول الله مبدؤه وما عداه فلا عزّ لنا ولا مجد، كما أن الأمة لتنقطع عن ماضيها عندما تتخلّى عن عقيدتها، فالمسلمون عندما يتركون عقيدتهم فإنهم ينقطعون عن ماضيهم الزاهر بل لا يحقّ لهم التفاخر بذلك التاريخ لأنه لم يقم إلا على العقيدة وكذا العرب لانهم في تاريخهم المجيد كانوا يقومون على العقيدة الإسلامية. فالأمة ارتباط في القلوب، واتحاد في الأفكار، وانسجام في التصوّر، واتفاق في العقيدة، وتأييد للنظام، أفرادها يصدرون عن مقاييس واحدة يقيسون بها مفهوم الأخلاق والحشمة والفضيلة والصلاح والحرية والعدالة والأمانة والنظرة إلى القانون. إذ لا يعقل أن تتكوّن أمة من جماعةٍ يرى بعضها أن الأخلاق عفة في اللسان، وطهر في النفس واستقامة في المعاملة، وستر للجسم، وابتعاد عن الخمر، وبعد عن الاختلاط، وتحريم للسفور، وصيانة للكرامة ويرى بعضها الآخر أن كل ذلك ليس في الأخلاق في شيء ولا يدخل في قائمة الحساب ويكفي أن يعمل الرجل بجد ونشاط. ولا يمكن أن تتكون أمة من جماعة يرى بعضها أن الإيمان رمز للأخلاق والاستقامة والتقدم والاخلاص ويرى ذلك آخرون أن هذا من دواعي التأخّر والضعف والسلبية والانهزامية. ولا يعقل أن تتكون أمة من جماعة يختلف عناصرها كل الاختلاف.

ولا يمكن أن تتكون أمة من مجتمع يرى بعضه أن الناس سواسية كأسنان المشط وهم في نظر القانون دون تمييز «فوالله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»، وينال المواطن المنصب حسب كفاءته وقدراته دون النظر إلى أي اعتبار بينما يُقرّب بعضهم الآخر الصديق ويستثني من لا معارف له، وينال المنافق المركز، ويحظى المداهن بالمنصب، ويطبق القانون على أناس دون آخرين. وإنما كل مجموعة تحمل عقيدةً واحدة تُشكّل أمةً وحدها.

اكتشف المسلمون في الصين شخصيتهم ورأوا أن بإمكانهم أن يكونوا شخصية مستقلة وأمة واحدة دون بقية الصينيين، وأن هذه الشخصية تفقد مقوماتهم تدريجياً لسيطرة غيرهم عليهم بمفاهيم غريبة عنهم. وهذا طريق الثورة وبمثله تنهض الأمم وتحيا الشعوب فالغاية نبيلة، والقصد شريف، والدعوة حقّ، والثورة واجبة، وغير هذا باطل وتعنّت، ولكن المسلمين فشلوا في ثورتهم، واندحروا في وثبتهم، وليس الفشل دليل الخطأ كما أن الاندحار ليس دليل عدم التصميم، ولكنه الامتحان والتربية والتعليم والبلوى، وانتقاء الشهداء واختيار أهل الجنة، وتثبيت المؤمنين، وتمييز الذين في قلوبهم زيغ والدرس لكل ناهض، والعبرة لكل ثائر، ليتجنب الخطأ، ويتجاوز العقبات ولا يبالي مهما تعثّر، فكم فشل أناس على حق، وهزمت جيوش وغايتها دفع الظلم ورد الحق إلى أهله «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين».

وقد لام كتاب كثيرون ومؤرخون ثورة مسلمي الصين لأنها أضعفتهم، فقد فقدوا فيها أكثر من ربع عددهم، ومزقت شملهم، وأخرّتهم عن الركب وعن مجاراة أبناء جلدتهم الصينين، ولكنها كانت بالواقع الأمر الذي لا بد منه للمحافظة على الشخصية المتميزة والإبقاء على الكيان، فالثورات لا تبالي بالضحايا، ولا تنظر دعوة الحق إلى ما تخسره أثناء الطريق، فالدرب وعر شائك محفوف بالمكاره ولكنه لا بد من الوصول، فمن لا يخطىء لا يصيب، ومن لا يعثر لا ينهض، وإنما الذي يؤخذ على تلك الثورات انها لم تعد للأمر عدته الكاملة، ولم تأخذ لها كافة الاستعدادات ولم تُوقّت كل المقاطعات لثوراتها الزمن معاً فكانت في كل مقاطعة ثورة، فإذا اخمدت في إقليم اندلعت في إقليم آخر مما سهل على العدو النصر، كما أن الإيمان لم يكن المحرك لها في جميع المعارك لتعلو الهمة وترتفع المعنوية ويكون العمل خالصاً لله، هذا وان صفوف الثورة لم تنظف من الذين يطلبون الدنيا بدينهم فهم في كل معركة سبب الهزيمة وبلاء المسلمين وإن لبسوا زي العلماء وأظهروا التقى والله يشهد إن المنافقين لكاذبون، كما أن الانسجام لم يكن قوياً بين الثائرين، وفكرة التمييز لم تكن واضحة تمام الوضوح عند جميع الواثبين، فحدث ما حدث، ولكن في ذلك الدرس والعبرة لجميع السائرين على الدرب الثائرين على الظلم والطغيان.

كانت الأسرة المنشورية قد حكمت الصين منذ عام (١٠٥٤ هـ)

(١٦٤٤ م) حتى قيام الجمهورية الصينية عام (١٣٢٩ هـ) (١٩١١ م)، وقد سامت هذه الأسرة المسلمين سوء العذاب فأقامت المذابح الجماعية، واغتصبت الأملاك، وشرّدت الأهالي وسبت النساء والذراري، وقد كانت هذه الأعمال تتكرر بين الحين والآخر، وكلما رأت من المسلمين بادرة حملتها على سوء الظن وأنزلت بهم النكبات، وقد كانت تُحذّرهم وتخشى منهم الثورة والاستقلال، وهذا ما حدا بالمسلمين أن ينتهزوا كل فرصة ليقوموا بانتفاضةٍ علّهم يتخلّصون من هذا الحكم الجائر والجور القائم، وكانت أهم هذه الانتفاضات التي اندلعت في تركستان الثورة التي تعرف باسم ثورة (جنقغ) عام (١٢٤٢ هـ) (١٨٢٥ م) وقد استمرّت عامين كاملين، ثم ثورة يعقوب بك ومقره مدينة كاشغر، وكان المحرك العقلي لها هو الزعيم الديني (باي ين هو)، وقد بدأت هذه الثورة عام (١٢٧٢ هـ)(١٨٥٥ م)، وكتب لها النصر، واعلنت تركستان دولة مستقلة سلطانها يعقوب بك، واستمرت ثلاث عشرة سنة، وظنّ المسلمون هناك أنهم قد حصلوا على الاستقلال، واستقر لهم الوضع، فخلد بعضهم إلى الراحة، ولم ينتبهوا إلى أنهم جزء من أمة فإذا لم يهبوا إلى نصرة أمتهم فإن الضربة ستُوجّه إليهم، والطعنة تنالهم بالذات، فلم ينفروا لمساعدة اخوانهم المسلمين في بقية الأجزاء من البر الصيني حيث كانت الثورة قائمة في (كانسو) و (شنسي) بقيادة (ماهوالونغ)، ونتيجة لهذه الانهزامية فان القوات

الصينية استطاعت أن تقضي على تلك الثورة عام (١٢٩٠ هـ) (١٨٧٢ م) وتفتك بالمسلمين وتنزل بهم الويلات، وبعد عامين من القتل والذبح والتشريد في صفوف المسلمين سيطرت الصين على (كانسو) و (شنسي) وعندها جاء دور تركستان فزحف عام (١٢٩٢ هـ) (١٨٧٤ م) جيشان من الصين أحدهما بقيادة (ليوكين تانغ) والثاني بقيادة (كين شوان)، وقصدا مركز الزعيم الديني (باي ين هو)، وهاجما كاشغر، فانهزم الزعيم الديني إلى أرض الروس، وقتل سلطان البلاد يعقوب بك، وتحددت حدود تركستان من الشمال والجنوب، ونصبت الصين (ليوكين تانغ) والياً على كاشغر، وبعد أن أخمدت الثورة في كافة أنحاء البلاد أخذت الدولة الصينية بيدها أمر الادارة، وجعلت على كل من مدن تركستان الكبيرة مفوضاً امبراطورياً وقائداً عسكرياً. وقد أخذ المسلمون من هذا درساً هو أن العداء المستحكم ليس موجهاً لمصرٍ من الأمصار أو فردٍ من الأفراد أو رئيس دون الآخرين وإنما للإسلام ومن يحمل لواءه، وأن الأعداء عندما يدخلون أرضاً يقطنها المسلمون، أو يحكمون بلاداً سكانها من المسلمين فإن الأذى لا يصيب جماعة معينة وإنما يصيب الجميع، فعلى جميع المسلمين أن ينهضوا نهضةً واحدةً ويثبوا وثبة رجلٍ واحدٍ في وجه كل استعمارٍ ووجه كل طاغيةٍ جبارٍ وإن تباطؤوا بالقيام بهذا حلّ بهم الدمار، ونالهم الأذى والهوان، فإن الحقد على الإسلام وأهله من أعدائه لا يمكن أن يوصف.

وشهدت البلاد انتفاضات إسلامية عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٢ م) كآخر رمق، واستمرت الثورة مدة خمسة أعوامٍ كاملةٍ استطاع الحاكم الصيني (شان شي تسان) القضاء عليها وتوطيد حكمه بعد أن حصل على مساعدة الروس التامة والذين بقيت قواتهم بجانب القوات الصينية مدة غير قصيرة.

انسحب الروس من البلاد عام ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م) بعد أن أخذوا معهم جميع المنشآت الاقتصادية التي أقاموها في تركستان أثناء وجودهم فيها. وفي عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) أعلنت حكومة الصين الشعبية التي استلمت حكم البلاد بعد الثورة الشيوعية فيها، أعلنت أن تركستان دولة تتمتع باستقلال ذاتي وأصبح السيد (سيف الدين) هو رئيس الدولة ذلك في عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م)، وعرفت البلاد منذ تلك المدة باسم «سينكيانغ» ووصلت مع الصين بخط حديدي عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م).

المسلمون في الصين

وليست تركستان الشرقية المنطقة الإسلامية الوحيدة في الصين اليوم وإنما هناك مناطق أخرى، ومسلمون ينتشرون في كل أجزاء الصين.

يتوزع المسلمون في الصين في كافة المقاطعات، وإن كانت نسبتهم تختلف بين ولاية وأخرى، فهناك مناطق يغلب عليها الإسلام وأجزاء يندر فيها أتباعه، هذا التوزع ناتج عن الطرق التي انتشر فيها الإسلام في تلك الأرجاء، وعن أهداف الحكومات الصينية المتعاقبة. والرغبة عند المسلمين قائمة ليجتمعوا في منطقةٍ واحدةٍ لإقامة حكومةٍ إسلاميةٍ.

فدخول الإسلام إلى الصين كان عن طريق التجارة البحرية وهذا ما جعلهم يتوزّعون في المناطق الساحلية وخاصة في المراكز الكبرى مثل (كانتون) و (شانغهاي) ومدن (شانتونغ)، حيث لم يكن التجار المسلمون ليحملوا البضائع فقط وإنما كانوا يحملون الدعوة، ولم تكن غايتهم الأرباح المادية فحسب وإنما كانت الغاية في نشر الإسلام هي التي تحدوهم لركوب المخاطر وتحمّل أعباء السفر وامتطاء أطول الطرق وأخطر المراكب آنذاك، بل إن الكثير منهم اتخذ من التجارة

وسيلةً لنشر الدعوة ومجالاً لإيصال الإسلام إلى تلك الأقوام الوثنية البعيدة عنه والبدائية في عقيدتها.

ودخول الإسلام إلى المناطق الصينية الوسطى كان عن طريق التجارة الداخلية وتنقّل الدعاة في تلك الفيافي يبتغون الأجر ويرجون الفضل من الله، ولم يكن تنقل الدعاة في جهةٍ واحدةٍ وإنما في جميع الجهات فكان انتشار الإسلام يماشي سير الدعاة ويختلف حسب كثرتهم وقوة شخصيتهم ومدة إقامتهم ومدى إيمانهم وعمق فكرتهم. ولم يكن الدعاة من الفقهاء والعلماء فقط وإنما من الذين دخلوا في الإسلام حديثاً أيضاً يريدون الخير والتعويض عما افتقدوه أثناء جاهليتهم قبل اعتناقهم الإسلام، واتباعه فكرةً وعقيدةً. ولو كانت وراءهم دولة تخطط لهم وتعينهم على ذلك وتزيد عدد الداعين للإسلام لعمّ النور الصين كلّها.

أما في المناطق الغربية من الصين فقد كثر المسلمون نتيجة القرب من المناطق الإسلامية، واتصالها مع تلك الأمصار التي فتحها المسلمون أيام فتوحاتهم الواسعة التي كانت نتيجة لتطبيق التعاليم والمناهج الإسلامية، وجواراً لأولئك الرجال الذين كانت حياتهم صورة حية عن المجتمع الإسلامي.

كما أن في غربي الصين فيافٍ واسعة وصحارى شاسعة تعيش فيها قبائل وتسكنها أقوام تعتمد على العصبية، وتقوم حياتها على القبلية، وكان من ميزات هذه القبلية أن دخلت قبيلة الأويغور في دين الله

بأغلبيتها عندما اعتنق زعماؤها الإسلام.

ويمكن أن نضيف أسباباً أخرى لهذا التوزّع، وهو أن حكام الصين كانوا يخشون من رعاياهم المسلمين ويحذرونهم ويعلمون رغبتهم في تجمّعهم لتكوين أمة وإقامة حكومة مستقلة تأخذ بتعاليم دينهم، والعقيدة وحدها هي التي تحملهم على تكوين أمةٍ واحدةٍ مختلفةٍ عن غيرها متميزةٍ بشخصيتها وأفكارها، لذلك عمد الحكام إلى توزيعهم في مختلف أجزاء ذلك البر الصيني الواسع بشتى الطرق كالتوظيف والنقل... تارة بالإقناع وأخرى بالإكراه والإجبار، أحياناً بطرق مشروعة عادية وأحياناً بطرق لا تمت إلى القانون بصلة، وإذا كان بعضُ الحكام يظهرون الثقة والإحسان فإن الواقع يشير إلى أنها كلها طرق قد خطط لها وأن غايتها توزيع المسلمين وبعثرتهم، وهكذا يظهر أن كل عمل لا يمكن أن يكتب له النجاح إلا إذا خطط وهيء له كافة سبل النجاح، فلو خطط لدعاة الإسلام هناك لساد هذا الدين الصين، ولو كانت حكومة من وراء ذلك لماوجد غير المسلمين في ذلك الشرق البعيد. وكذا الدعوة الآن وخاصة في إفريقية تسير ببطءٍ لأنه ليس من ورائها من يخطط لها ويسعى لدعمها، والدول العربية في إفريقية بدلاً من أن تهتم بهذا الأمر، وترصد له الاعتمادات اللازمة، وتوفر له الإمكانات المطلوبة، نراها تبذل الكثير في سبيل التخطيط للإيقاع بين الإخوة والأشقاء، وقتل الدعاة، وزجّ الأحرار في السجون، والنيل من المخلصين، ومساعدة الخصوم،

ومناصرة الأعداء والمستعمرين وأصحاب الغايات في بلادنا، والمساومة على الحركة الإسلامية يوماً للشرق ويوماً للغرب، على حين نجد التنصير يلعب دوراً واسعاً لما يلقاه من تأييد الدول الأوربية له، وهي تعمل من ورائه لأغراض دينية وسياسية تأخذ مظهر الاقتصاد أحياناً وملامح السيطرة والنفوذ أحياناً أخرى.

ولم تكن التعاليم الإسلامية لتطبق كاملة في الصين بل شابتها رواسب من الجاهلية، وبقيت آثار الماضي سائدة، لأن الإسلام وصل إلى الصين في وقت كانت الخلافات مستحكمة في بلاد الإسلام، فلم تكن هناك القدوة الحسنة في الحكم، كما لم تكن هناك حكومة تعمل على نشر الدعوة، وتساعد على تهيئة الوسائل اللازمة لها، وتجاهد في سبيل اعلاء كلمة الله. وكذلك فإن اللغتين الصينية والتركية هما اللتان كانتا سائدتين وهذا ما جعل اللغة العربية قليلة وقراءة الكتب ضعيفة لأن اللغة العربية قد توقف انتشارها بتوقف انتشار الإسلام، لذلك كانت دراسة مصادر التشريع الإسلامي قليلة الحظ، ولم تؤد الغرض المطلوب، هذا بالإضافة إلى أن انتشار الإسلام كان يتمّ في بعض الأحيان على أيدي بعض الدعاة الذين لم يمض على إسلامهم مدةً طويلة، أو يتم بسبب إسلام قبيلة بكاملها، وهذا ما سبق أن ألمحنا إليه. لهذه الأسباب كلها كانت التعاليم الإسلامية غير مطبقةٍ بشكل صحيح، وبقيت عادات جاهلية متبعة كأن توضع قدما الفتاة وتقيد في قالب حتى تبقى صغيرة حيث يعدّ هذا من أنواع الجمال

عندهم، وبقيت هذه العادة متبعة حتى عام ١٣٢٩ هـ حيث منعت رسمياً. كذلك بقيت عادة احترام الآباء والأجداد حيث يحفظون شجرات الأنساب في البيوتات ويقدسون الأجداد كسائر أهل الصين.

وبقاء العادات الجاهلية يخالف طبيعة الإسلام التي تقضي بأن يترك الرجل منذ أن يدخل في الإسلام سائر العادات والتقاليد التي تسود في المجتمع، ويعدّ نفسه في مرحلة جديدة من حياته، انقطع، فيها عن كل ماضيه وحياته التي عاشها قبل الإسلام، ويتنصل من كل ما فعله في جاهليته، ويصمم على أن لا يقوم بعمل إلا إذا كان ينبع من الإسلام.

يكثر المسلمون في الصين في مقاطعات (كانسو) و (يونّان) و (هونان) و (شانتونغ) و (هابي) إضافة إلى تركستان التي معظم سكانها من المسلمين، والتي ليست هي من الصين الأصلية، والتي سبق أن أفردنا لها بحثاً خاصاً، وليس معنى هذا أن بقية المقاطعات تخلو من المسلمين فهناك جماعات كبيرة في مقاطعات (شنسي) و (ستشوان)، كما لا تخلو ولاية من أعداد منهم.

والمسلمون في الصين أهل همة عالية فنراهم يعملون في التجارة وأهم مراكزهم (شنغهاي) حيث يعملون في تجارة الجواهر والأحجار الكريمة، أما في المدن عند سور الصين فيعملون في تجارة الفراء والأصواف والخيل والمواشي، وفي (يونان) يعملون في تجارة الرز

والفحوم، كذلك ينخرط المسلمون في الجيش الصيني، وهم محبوبون من قبل الطوائف الأخرى، وعلى وفاق مع أبناء وطنهم حتى ليعدّوا في رأس المخلصين ويعتنون بالنظافة التي تميزهم عن سائر أهل البلاد.

ومن عادة مسلمي الصين الزواج بالصينيات يرغبون في ذلك لعلّ الله يشرح صدور زوجاتهن للإسلام. كما جرت العادة قديماً أن يشتروا أولاد الصينيين ويربّونهم على الإسلام، وفي ثورة البوكر التي جرت عام ١٣١٨ هـ والتي قتل فيها ألوف من النصارى، ونهبت أموالهم، وبيعت نساؤهم، فاشترى مسلمو (نينغ هسيا) عدداً كبيراً منهم، وبعدها صار يسعى مطران منغوليا لاسترادادهم، ولكن رفض أغلبهم الردة بعد أن عرفوا الإسلام وذاقوا حلاوة الإيمان.

ولغة المسلمين في الصين هي اللغة الصينية وكذا كتابتهم، وإن كانت لهجتهم فيها بعض الاختلاف حيث يعرف الصيني المسلم من الوثني، ويعيب بعضهم دراسة الصينية لأنهم يعدّونها لغة الكفرة، ويعتبرون العربية لغة الكتاب والسنة، وعلى كل مسلم أن يدرسها ويحترمها وهذا ما حدا ببعضهم أن يبتعد عن دراسة اللغة الرسمية فأضحوا جاهلين مما أبعدهم عن الوظائف.

وفي كل مسجد مدرسة دينية أولية يدرس فيها الأطفال الأحرف العربية وبعض السور القصيرة، وكذا العبادات، كما أن هناك مدارس خاصة بالمسلمين تدرس العربية والصرف والنحو.

وليس للمسلمين هناك رئاسة دينية، ويجب المسلمون أن يقال لهم «باي شان» أي أصحاب العمائم البيض، وتظهر هناك بعض السحنات العربية والتركية.

وبالمناسبة لا بد أن نوضح أن انتشار لغة أمة دليل تقدم الأمة وحيويتها، وتكون اللغة المساعد الرئيسي لنشر أفكار الأمة وأهدافها وآرائها، ومعبراً عن رغباتها ومراميها وصدقها في أعمالها، وكسب تأييدها، ومناصرة لقضاياها، لذلك تسعى الدول لنشر لغتها بكل وسائلها مستخدمة نفوذها لذلك، وأن نشر اللغة العربية عملية سهلة بين المسلمين في جميع أصقاع العالم فما علينا إلا أن نتخذ الوسائل لذلك، كما أن العمل لنشر الإسلام هو عمل لنشر العربية وقد رأينا أن انتشار اللغة العربية قد ساير انتشار الإسلام في جميع أدوار التاريخ.

وإن الثورة الثقافية التي حدثت في الصين قضت على كثير من المساجد والمدارس الإسلامية وربما كان هذا هدفها بالدرجة الأولى.

ولنتعرف سريعاً على أهم المقاطعات التي يكثر فيها المسلمون في الصين.

كانسو

ليست التقسيمات الإدارية القائمة في الصين تعتمد على أمورٍ طبيعية أو نواحٍ اقتصادية أو توزيع بشري وهي التي تؤخذ بعين الاعتبار عادة أثناء التقسيم الإداري، ولكن الأمر الذي يسترعي الانتباه أن تقسيمات الصين وخاصة المناطق الغربية منها حيث يكثر المسلمون تأخذ بالدرجة الأولى القضايا السياسية وتهتم وقبل كل شيء بتوزيع المسلمين، فأثناء بحثنا نضطر أن ندرج أسماء بعض المدن التي لا توجد في هذه المقاطعة ولكن في مقاطعة أخرى حيث لعبت السياسة دورها فاجتزأتها من منطقتها الأصلية لتضعها في منطقة أخرى ليكون فيها المسلمون منعزلين عما حولهم وأقلية، أو أن إقليماً قسم إلى إقليمين للغرض نفسه، ومع هذا نضطر إلى بحث المقاطعة حسب التقسيم الإداري القائم مع الإشارة إلى ما يرتبط بها وما يتعلق فيها.

كانسو ولاية على شكل مستطيل يمتد من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي بين صحراء غوبي من جهة والمرتفعات الشاهقة من جهة أخرى والتي تتألف من هضبة التيبت العالية وجبال (نان شان)

الشاهقة الشامخة، وهي بهذا الموقع تهم الصينيين حيث الطريق الطبيعي للاتصال بأواسط آسيا وغربها، كما أنها في الوقت نفسه تهم المسلمين الذين يريدون الإتصال بكاشغر المنطقة الإسلامية وبالتالي بالعالم الإسلامي الممتد غربها مباشرة، كما أن المسلمين يرغبون في تكوين دولة لهم تضم (كانسو) و (ستشوان) و (يونان)، وهذا ما جعل من اهتمام الصين يزداد في السيطرة على (كانسو) حيث تخاف المسلمين وتخاف فكرة تأسيس سلطنة إسلامية.

تقع (كانسو) على السفوح الشرقية لجبال (نان شان)، فهي بذلك تكون نهاية الجبال السامقة، وتنحدر المياه من المرتفعات نحو (كانسو) في اتجاهين: الأول منهما تجري المياه نحو الشمال ويعدّ نهر (اتسين) أنموذجاً لهذه المجاري حيث يرفده عدد من الروافد، وتفيض مياهه في النهاية في جنوب صحراء غوبي عند حدود مانغوليا ويعدّ ممر هذا النهر الممر الطبيعي بين الشرق والغرب ووسطاً بين المناطق المرتفعة في الغرب والجنوب والفيافي الواسعة المقفرة في الشرق والشمال، أما اتجاه المياه الثاني فتنحدر الروافد نحو النهر الأصفر (هوانغ هو) الذي يعدّ أهم أنهار الصين، وتأتي مياهه من هضبة التيبت، ويمر في وسط (كانسو)، وبين هذين القسمين بني سور الصين العظيم، وهذا يدل على أن شمال وغرب (كانسو) كان في القديم مسرحاً لتنقل قبائل عديدة ذات بأس وشدة، تغير بشكلٍ دائمٍ على الصين فتعيث فيها الفساد، مما حدا بأهل الصين أن يقيموا سوراً يقيهم شرّ هذه

الغارات بينما في جنوب (كانسو) يقيم أقوام يمتهنون الزراعة ويعرفون حياة الاستقرار.

والمسلمون في ولاية (كانسو) كثيرون وخاصة في غربيها حيث تعتبر امتداداً للعالم الإسلامي، وقد كان عددهم عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) ما يقارب ثلاثة ملايين ونصف، أما اليوم فلا يزيدون على ثمانية ملايين على حين أنهم يجب أن يكونوا قد بلغوا ١٥ مليون نسمة لو أن زيادتهم كانت تسير بشكل طبيعي كبقية المقاطعات الصينية وخاصة إذا لاحظنا أن نسبة المواليد لدى المسلمين تزيد على نسبة غيرهم من أهل الصين، ولكن الثورات التي حدثت في البلاد جعلت عدة نواحٍ تخلو من المسلمين بعد الثورات التي جرت فيها، ففي مدينة (لينغ تشو) لم يبق سوى سبعين مسلماً، وفي مدينة (لان تشو) قاعدة المقاطعة يوجد ٢٥ ألف مسلم ولهم جوامع عظيمة. وقد منع المسلمون بعد الثورات الأخيرة من سكن المدن، فأقاموا في الضواحي، وبنوا فيها المساجد، ووسّعوا القديم منها، كما هي الحال في (نينغ هسيا) و (بينغ لينغ).

وبقي الإسلام في أحفاد (الاويغور) من المغول إلى يومنا هذا، وأن (الاويغور) و (الطاتغون) هم سكان بلاد (كانسو).

ويقول بعض المؤرخين أن المسلمين رغم كل ما قيل في عدد سكان (كانسو)، فهم يشكلون السواد الأعظم لسكان هذه الولاية،

وأن بعض المدن كانت محطّ رحال طلاب العلم والمثقفين من جميع الصين، وأن المساجد قد أحصيت في بعض مدن المقاطعة فبلغت المئات.

والمسلمون في (كانسو) يتميزون عن الصينيين الذين يسمونهم «هواي هواي» وهو لقب طائفة (الاويغور)، أما هم فيؤثرون أن يعرفوا باسم «كياومن» أي أهل الدين. وأهم الثورات التي قامت في ولاية (كانسو):

١ ـ ثورة نشبت عام ١١٧٢ هـ (١٧٥٨ م) وتعرف باسم ثورة (سوسيان).

٢ ـ ثورة قامت عام ١١٨٢ هـ (١٧٦٨ م) وتعرف باسم ثورة مانسين.

٣ ـ ثورة حدثت عام ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) وهي جزء من ثورة يعقوب بك التي شملت (تركستان) و (كانسو) و (شنسي) واستمرت عشرين عاماً ١٢٧٢ ـ ١٢٩٣ هـ (١٨٥٥ ـ ١٨٧٥ م).

٤ ـ ثورة عام ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م).

ولا شك أن أهم ثورة هي التي قامت عام (١٢٨١ هـ ١٨٦٤ م)، وقد قال أحد الذين عرفوا هذه الثورة «وفي عام ١٨٦٤ م ثارت فتنة في الشرق والغرب من الصين أصلها اثنان

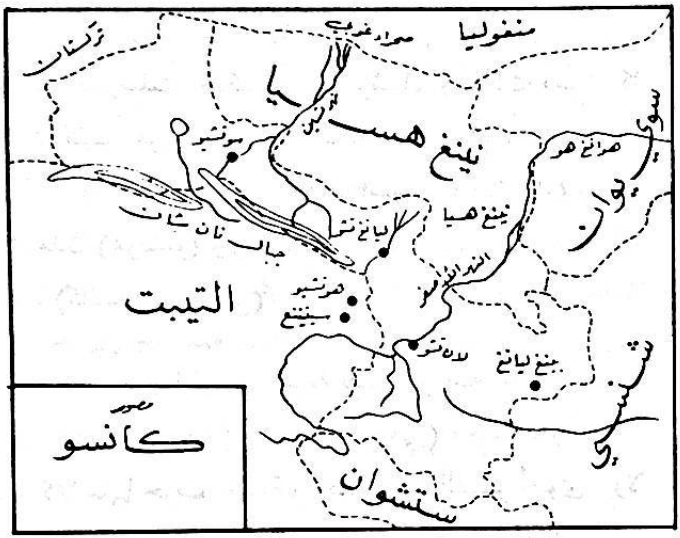
منغوليا
تركستان
سيبريا
نينغ هسيا
سينكيانغ
التيبت
جبال نان شان
كانسو
سيتشوان

«مياوباي» و «ماهوا لونغ» فأخذا يعيثان فساداً في كانسو واتصل الثاني منهما بثوار عصاة في جنوب مقاطعة (شنسي) وشمالها فأثاروا الأهالي في (نينغ هسيا)، ومدناً أخرى، فساقت الحكومة جيوشاً إلى مدينة (نينغ هسيا)، وحاصرتها، وقتلت خلقاً كثيراً، ثم اقتحمتها عام ١٨٦٥ م بعد حروب طويلة إلا أنه في عام ١٨٦٨ م عادت الثورة فاشتعلت، فأرسلت الحكومة جيوشاً، وسفكت دماء كثيرة، واستردت كثيراً من المدن العاصية، وفي عام ١٨٧١ م أسرت الحكومة (ماهوا لونغ) وزعيماً آخر اسمه (ماباتسياو) وصلبتهما، وهاجمت مدن (هوتشيو) و (سينينغ) و (سوتشيو)، وأخمدت الثورة في جميع بلاد (كانسو) و (شنسي)».

وكان للثائر (ماهوا لونغ) شيعة يقولون عنه أنه قطب وأن هذا المركز قد انتقل من بعده إلى صهره (ماتاهي) وحفيده (ماأول هي)، وقد تبع كلاً منهما حزب وشيعة، وكان مركز الصهر أقوى. ولا شك أن هذا الاحترام والتقدير لأحد زعماء الثورة وهو (ماهوا لونغ) وبقاء هذا الحب مدة طويلة بعد موته، وإعطاءه لقب قطب ليس هو إلا تبياناً لرغبة الشعب في التخلص من حكم الصين وتأسيس دولة خاصة بالمسلمين.

نينغ هسيا

مقاطعة أكثر سكانها من المسلمين، وقد أصبحت مقاطعة خاصة رغم أنها جزء من (كانسو) في طبيعتها وسكانها، ويقصد من هذا تجزئة بلاد المسلمين لإمكانية السيطرة عليهم وسهولة حكمهم.

وتميل أرض هذا القسم نحو الشمال حيث تقع أخفض المناطق عند حدود منغوليا، وتتألف الأرض من فيافي واسعة تفيض في رمالها المياه المنحدرة من مقاطعة (كانسو) فتشكل بعض المستنقعات وتقوم على المجاري المائية بعض الواحات، وأهم هذه المجاري نهر (اتسين) الذي يتفرغ إلى عدة فروع تفيض كلها قرب حدود منغوليا مشكلا مجموعة من البحيرات والمستنقعات.

ومعظم أراضي (نينغ هسيا) نجود رملية وصحراء جرداء لذلك كانت تجوبها قبائل محاربة تغير على المناطق الآهلة والبلاد المستقرة فتعيث فيها فساداً، لهذا نجد أن معظم أراضي هذا الجزء يقع خارج سور الصين سوى جزئها الجنوبي الشرقي حيث يجري النهر الأصفر أعظم أنهار الصين، وتقوم على جانبيه حياة ذات حضارة زراعية، ويعيش السكان في مدن وقرى واسعة، ويشكل هذا النهر حدود المقاطعة الشرقية مع ولاية (سوي يوان).

وبسبب كثرة الرمال نرى أن النهر الأصفر تتوزع مياهه إلى عدة فروع تقع مدينة نينغ هسيا على أحدها وهي قاعدة الولاية وأعظم مدينة فيها، وقد أخذت الولاية اسمها ويحيط بهذه المدينة سور الصين.

وقد عاد الاسلام ينمو ويزداد شمالي (نينغ هسيا)، وجميع المسلمين يتجرون بالجلود والصوف، وسكان كل مراكز الأنهر ولا سيما النهر الأصفر هم من المسلمين.

ولما كانت (نينغ هسيا) جزءاً من كانسو فإن أهم المدن في هاتين المقاطعتين هي:

لان تشو: وهي قاعدة مقاطعة كانسو وتقع على النهر الأصفر قريبة من حدود التيبت، ويستدير في غربها سور الصين العظيم، وتتصل بالصين بخط حديدي وأصبحت تسمى اليوم (كاولان) على القاعدة الشيوعية في تغيير أسماء ومعالم المدن.

سوتشيو: وتقع خارج نطاق السور على رافد من روافد نهر (اتسين) وقد سميت اليوم باسم (كيوتشان)، وفيها مطار، وتعدّ أهم مدن شمال (كانسو).

لاينغ تشيو: وتقع أيضاً خارج نطاق السور على مجرى مائي صغير تفيض مياهه في داخل مقاطعة (كانسو)، ويقع السور في شرقها على بعد عدة كيلو مترات، وتعدّ أهم مدن كانسو الوسطى، ويطلق

عليها اليوم اسم (يووي).

بينغ ليانغ: وهي أهم مدن جنوب (كانسو)، وفيها كلية للمسلمين.

نينغ هسيا: وهي قاعدة مقاطعة (نينغ هسيا) وتقع على أحد تفرعات النهر الأصفر، وقريبة من حدود المقاطعة الشرقية وفيها مطار، وقد اختيرت قاعدة لهذه المقاطعة لأنها أكبر مدينة في المنطقة المأهولة الوحيدة.

هوتشيو وسينينغ: وقد ضمت هاتان المدينتان إلى التيبت بسبب مركزهما الاسلامي، وذلك لفصلهما عن بقية المجتمع الاسلامي ويلتف حولهما السور، وتتنقب النساء المسلمات في (هوتشيو) بنقاب أسود.

يونّان

تقع (يونّان) بين منطقة التيبت ومقاطعة (ستشوان) من الشمال وتحدها دولة بورما من الغرب وفيتنام ولاوس من الجنوب ومقاطعتي (كوانغ سي) من الشرق. وهي منطقة جبلية بالدرجة الأولى حيث تمتد هضبة التيبت نحو الجنوب الغربي فتشكل سلاسل جبلية ضيقة وبارزة بروزاً عنيفاً تفصل بينها منخفضات تغطيها النباتات وحقول الرز.

وقد كانت الالتواءات الهيمالائية المرتفعة تغطي هذه المنطقة حيث عمل الحت فيها عمله، فانقلبت إلى هضبة حُفرت فيها الأودية العريضة، ثم أصابتها انكسارات فقطعتها إلى أجزاء متفاوتة الارتفاع تشكلت فيها حفر وأغوار عميقة طولانية تشغلها البحيرات الكثيرة التي تفرغ معظمها وإن بقي الكثير منها كالتي نشاهدها في جوار مدينة (تالي) ومدينة (يونّان) أو (كون مينغ)، وتشكل السهول المحيطة بهذه البحيرات أهم المساحات الزراعية في البلاد.

ثم ارتفعت المنطقة بأكملها ووجدت التضاريس الحالية، وكان لهذا النهوض أثره في سير الأنهار ومرحلة الحت التي وصلت إليها، إذ

أن الأنهار تجدد حتها فنشأت المساقط المائية التي تعرقل الملاحة. وكان التعمق الرأسي للوديان هو المسيطر مما أعطاها شكلها السحيق.

وتجري الأنهار مساير بعضها بعضاً تفصل بينها جبال ترتفع ٣٦٠٠ ـ ٤٥٠٠ م في الأقسام الشمالية ولكنها تنخفض في الجنوب حتى ٢٠٠٠ ـ ٢٤٠٠ م، وهذه الجبال موحشة ومخددة لعنف الحت بسبب الامطار الغزيرة، وتكون الحياة النباتية موحشة رهيبة فتقوم الغابة الكثيفة المسماة بغابة الموت. وجنوب عرض مدينة (تالي) ينخفض وادي (سالوين) حتى ٩٠٠ م، بينما ترتفع جوانبه الجبلية حتى ٣٠٠٠ م، وتنحدر عليه بميول تكاد تكون قائمة، وفي أعماق الوادي تقوم الغابة المدارية الكثيفة التي لا تترك مجالاً فيها حتى للحيوان، لكن البعوض والحشرات تكثر جداً وتنقل مرض الملاريا. وقد تجنب السكان في طرقاتهم المرور في الوادي.

والصخور بمعظمها كلسية مما جعل فيها شبكة مائية ضمنية، وكثيراً ما ابتلعت مياه الشبكة المائية السطحية بكاملها أحياناً، وتوجد أحواض شبيهة بدولينات الأراضي الكلسية الكارستية، ولذا فهي فقيرة قليلة الصلاح للزراعة وحتى للمراعي إلا في السهول وأحواض الأودية المفتوحة نوعاً ما.

والمنطقة الغربية معرضة للهزات الأرضية والزلازل الشديدة المخربة.

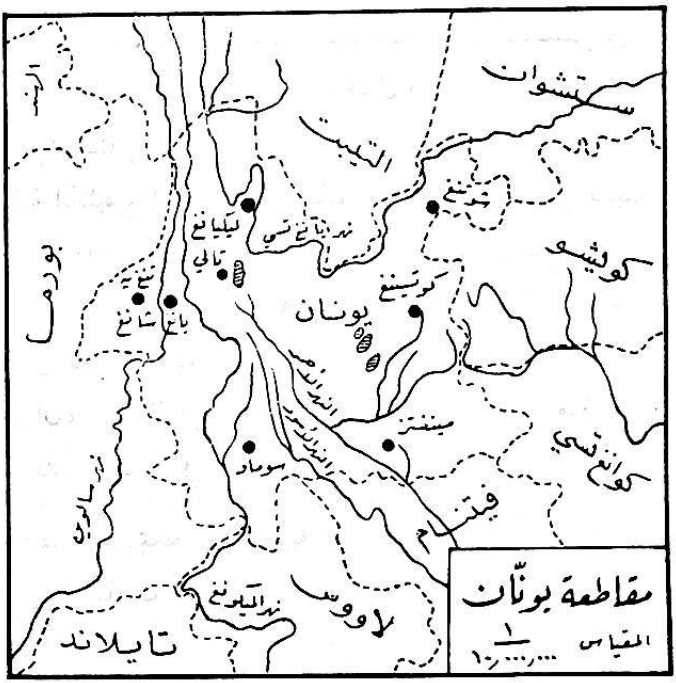
مقاطعة يونّان
المقياس ١/١٠٠٠٠٠٠
التيبت
سيتشوان
كويشو
كوانغسي
بورما
تايلاند
لاوس
فيتنام
يونان
كونمنغ
تالي
باوشان
سوماو

المناخ:

تقع منطقة يونّان في العروض فوق المدارية ومع ذلك فهي ذات حرارة معتدلة بسبب ارتفاع السطح. ويكون الشتاء لطيف المناخ حيث لا ينقص معدل كانون الثاني عن ١٠° كما أن الجو صافٍ تماماً ويحدث صقيع قليل أثناء الليل. ويبتدىء فصل الجفاف من تشرين الثاني ويمتد حتى نيسان. أما في الصيف فتهطل الأمطار في فترات عديدة تمتد من حزيران حتى أيلول، ويزيد المتوسط السنوي على ١١٠٠ مم، يهطل أكثر من نصفها في شهري تموز وآب، وهذا ما يعرّض الانهار لارتفاع سريع في مياهها التي تفيض وتغرق السهول اللحقية التي تقوم في قيعان الأودية.

وعلى الرغم من الرطوبة المطلقة فإن المناخ محتمل ولا يزعج الانسان لأن الحرارة تبقى معتدلة حيث لا يزيد متوسطها في شهر تموز على ٢٦° وتعدّ المنطقة مصيفاً للأوروبيين الذين يُقيمون في الهند الصينية.

المياه:

تعدّ منطقة يونّان منطقة مائية ذات أثر كبير، فإضافة إلى الانهار الكبيرة التي تجتازها قادمة من التيبت فإنها تتلقى كميات كبيرة من المياه ناتجة عن ذوبان الثلوج التي تتساقط على ذرى جبالها وعن الامطار الغزيرة التي تهطل عليها، مع العلم انه لا يضيع الكثير من

مياهها لأن هذه الأنهار تجري في أودية سحيقة فلا تروي مساحات واسعة من الارض وكذلك لا تتعرض لاشعة الشمس اللاهبة لتكون عرضة للتبخر من مياهها. كذلك يمكن اعتبارها خزاناً للمياه حيث ينبع منها أيضاً أنهار على غاية من الاهمية، ولنرى أولاً أهم الانهار التي تجتازها:

١ـ نهر يانغ تسي «الأزرق»: وهو أهم أنهار الصين الوسطى على الاطلاق وينبع من هضبة التيبت ويدخل منطقة (يونان)، ثم يعود ليشكل الحدود بينها وبين التيبت، وأخيراً يدخل مقاطعة (ستشوان) بعد أن يشكل جزءاً من حدودها.

٢ـ نهر الميكونغ: ويأتي أيضاً من التيبت ويجتاز المنطقة من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، ويدخل بعدها لاوس ليشكل الحدود بينها وبين بورما ثم بينها وبين تايلاند ويدخل بعدها كامبوديا ثم فيتنام الجنوبية حيث يصب في بحر الصين الجنوبي جنوب غربي مدينة سايغون.

٣ـ نهر سالوين: ويأتي من التيبت ويمر في غربي المنطقة حيث يدخل في بورما ويصبّ في خليج البنغال.

أما أهم الانهار التي تنبع من منطقة يونان فهي:

١ـ النهر الأحمر: الذي ينبع من وسط البلاد جنوب مدينة (تالي) ويتجه نحو الجنوب الشرقي فيدخل فيتنام الشمالية ويستمر في

جريانه حيث تقوم عليه العاصمة (هانوي)، وأخيراً يصب في خليج (طونكين).

٢ـ النهر الأسود: ينبع من جنوب البلاد ويسير سيراً موازياً للنهر الاحمر وأخيراً يلتقي به قبل مدينة (هانوي).

الحياة البشرية:

يقلّ الصينيون عن نصف سكان المقاطعة رغم تدفقهم إليها منذ أكثر من ٢٠٠٠ عام، وتدفقهم إليها في الوقت الحاضر، أما أكثرية السكان فهم مجموعة من القبائل أو الأقوام. وما الصينيون إلا من المستعمرين طردوا السكان الاصليين من رجال القبائل إلى التلال المرتفعة والاودية السحيقة، واحتفظوا لانفسهم بأخصب الارض في السهول والأودية الفسيحة التي يسهل الوصول إليها حيث يعملون في زراعة الرز بينما يزرع السكان الذرة والدخن والشعير.

ويوجد في هذه المقاطعة أكثر من ٢٠٠ قبيلة لكل منها لغتها الخاصة وإن أجبرت حالياً على تعلم اللغة الصينية ولكن لا تزال تتكلم فيما بينها لغتها المحلية. وهذه القبائل تكره الصينيين وتكنّ لهم كل حقدٍ وكراهية، ولكنها في الوقت نفسه تخشاهم فالسيف مصلت مشهور.

ويشكل السكان الاصليون ٢/٣ السكان في المناطق الجبلية حيث تنخفض الكثافة بينما يتروح عددهم ١/٥ ـ ١/١٠ السكان في

المناطق السهلية. ويُقدّر وسطي الكثافة بـ ١٠٠٠ شخص في الكيلومتر المربع وهي كثافة عالية إذا ما قورنت مع غيرها.

وقد جاء الصينيون إلى المنطقة عن طريق (ستشوان) ولم تلحق يونان بالامبراطورية الصينية إلا في القرن السابع الهجري. وأشهر القبائل هناك (اللولو) الذين يعيشون بعيدين عن المدن والطرق الرئيسية في أكواخ ترابية أو جذوع الاشجار ويمتهنون الرعي، والسكان بشكل عام خاملون لذلك نجد أن معظم الاعمال التجارية بيد تجار من (كانتون) و (ستشوان).

الزراعة:

تنحصر الزراعة في السهول المرتفعة والوديان المفتوحة القليلة والسفوح المنحدرة المدرجة، وكثير من هذه الأماكن ما تكون ذات مساحات محدودة. وحيثما تتوفر الأرض المستوية تصبح الزراعة كثيفة. وتكون الأنهار عادة في أودية سحيقة لدرجة يصبح معها ري سفوح التلال مستحيلاً.

وأهم الزراعات هي:

١ ـ الرز: وهو المحصول الرئيسي الصيفي ويشكل الغذاء الرئيسي ويشرف الصينيون على زراعته ومواطنه السهول الفسيحة.

٢ ـ الذرة: وهي زراعة وغذاء السكان الأصليين مع الشعير والدخن.

أما المحاصيل الشتوية فتضمّ (الأفيون) و(القمح) والبذور الزيتية، ثم هناك (التبغ) و(القنب) وأنواع جيدة من الخضار أهمها البطاطا، ثم الفواكه الممتازة مثل الخوخ، والإجاص، والبرتقال، والمشمش، والليمون، والجوز، والكستنا.

ويستهلك الأفيون بشكل واسع خاصة من قبل السكان الأصليين الخاملين، غير أن المسلمين يحرمونه ويحاولون منعه والتقليل من زراعته ولكن يضغط عليهم الصينيون حتى يزداد الخمول واللامبالاة ويستطيعون السيطرة التامة على المنطقة.

وكذلك تربى الأبقار والأغنام والماعز وحيوانات الجر والنقل ليستفاد منها حيث تقتضي طبيعة البلاد استعمالها بكثرة.

الثروة المعدنية:

يكثر الفحم والحديد في المنطقة كما أن النحاس قد استثمر منذ أكثر من ١٠٠٠ عام وكانت هذه الولاية تمون أسواق الصين منذ القديم بهذه المادة. أما القصدير فتنتج ما يقدر بـ ٦٪ من الانتاج العالمي ويشقّ طريقه إلى (هونغ كونغ) وموطنه منطقة (مينغتز). إضافة إلى معادن أخرى ذات أثر بالحياة الاقتصادية.

المواصلات:

صعبة وقليلة بسبب طبيعة البلاد حيث تتعاقب المرتفعات الشاهقة مع الأودية العميقة، وقد لا تتصل مع الدول المجاورة وخاصة مع

بورما إلا عن طريق الحيوانات أو ظهور الرجال. حتى أن الطرق المعبدة التي تصل بين مدنها تعدّ قليلة وصعبة، وليس هناك إلا سكة حديدية واحدة تصلها مع فيتنام الشمالية، وتعرف باسم طريق (طونكين) حيث تبدأ من مدينة (كوتسينغ) إلى (يونان) العاصمة وتتجه جنوباً حتى مدينة (مينغتز) وتساير بعدها مجرى رافد النهر الأحمر حتى الحدود مع فيتنام وتسير بعدها في وادي النهر الأحمر حتى مدينة (هانوي) فالساحل.

يزيد عدد المسلمين في يونان على تسعة ملايين، وتقدر نسبتهم بـ ٣٠٪ من عدد السكان، ولكن يخفي المسلمون هناك أنفسهم وعددهم الحقيقي اجتناباً من مخاوف الحكومة. ويعرفون هناك باسم (بانطي)، ويتميز المسلمون عن سائر الأهالي بملامحهم وشاراتهم ووحدة ملابسهم ويلوح عليهم من الأنفة ما لا يلوح على سواهم، ويكرهون الاختلاط بالوثنيين، ولكنهم قد يتعاملون معهم فيشترون من نباتهم وخضارهم بالدراهم. ويحرمون «الافيون» الذي يدمن عليه باقي السكان.

وكان ظهور الاسلام في هذه المنطقة على يد رجل يدعى سيد الأجل وهو سيد شريف يدعي أنه من آل البيت واسمه الحقيقي (شمس الدين عمر)، دخل في خدمة حكومة الصين وأحسن لها فأعطته ولاية (يونان) فكان خير رجل استلم هذه المهمة حيث وزع العدل ونشر الأمن واستطاع نشر الاسلام، وتنسب إليه كثير من

الأعمال الجليلة، وبقيت أسرته من بعده تتمتع بمركز مرموق حتى القرن الرابع عشر الهجري. وأغلب المسلمون في (يونان) لا يعرفون من العربية إلا السلام عليكم وبسم الله الرحمن الرحيم، والله أكبر، وأما العلماء فيقرؤون العربية دون أن يفهموها. وفي المساجد كتابات عربية وليس لها مآذن كما في سائر بلاد الاسلام ويعود ذلك إلى الخوف والإخفاء.

ويُدعى الإمام (الاهونغ) وله وظيفة ثانية غير الإمامة وهي تعليم الأحداث العقيدة الاسلامية واللغة العربية ففي كل جامع مكتب للأولاد بجانبه، وعندما يصبح الطالب على شيء من العلم يحق له أن يلبس الثوب الأخضر ويضع العمامة على رأسه. ويقال للاستاذ في علم التوحيد (هوليفو) وإذا ارتقى أخذ اسم (اهونغ) وإذا ذهب إلى الحج قيل له (اولتش). ويقال للشيوخ الكبار (سوفو) ويوجد من يقول لهم (اوستو)، أي الاستاذ. وهؤلاء الذين حصلوا على العلم في مدن (كانسو) أو الأزهر. والمسلمون في (يونان) خاملين بسبب ما أصابهم بعد ثورتهم ولانعزالهم عن بقية المسلمين بسبب موطنهم النائي، ثم الفقر، وخوفهم من السلطة حيث ذهب منهم في ثورتهم ما يقدر بـ ٣٠٠ ألف مسلم.

بدأت الثورة في يونان عام ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥ م) واستمرت حتى عام ١٢٩١ هـ (١٨٧٣ م) وكان سببها المباشر العمال، فقد اصطدم المسلمون مع غيرهم من زملائهم العمال فكان النصر للمسلمين،

فحقد عليهم الصينيون وجمعوا جموعهم كما أثاروا جميع الوثنيين في تلك المنطقة لاستئصال شأفة المسلمين وذلك في شهر أيار من عام ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) ولكن المسلمين قد شعروا بذلك فأعدوا عدتهم ـ والاستعداد واجب ـ فكانت المعركة لهم، ولم تستطع الحكومة أن تنال منهم إلا في القرى التي يسكنها قليل من المسلمين، واستمرت المعارك بين الطرفين وكان النصر للمسلمين في كل معركة حتى استطاعوا فتح مدينة (تالي) ونودي بالسيد (سليمان دوفنسيو) زعيم الثورة سلطاناً عليها، وفتحوا منها طريقاً إلى بورما يهربون منه السلاح والمال ـ وكان فتح هذا الطريق بشكل غريب عمل فيه جميع المسلمين من النساء والأطفال والشيوخ والرجال الذين ليسوا في المعارك، وبعمل متواصل لا يعرف التعب والملل حتى أنجز بوقت قصير جداً ـ ومن ثم استولوا على حاضرة البلاد مدينة (يونان) وأسّسوا دولةً دامت ثلاثة عشر عاماً، وحكومة الصين لا تزداد أمامهم إلا ضعفاً وانخذالاً واعتقدت أنها لا قبل لها بهم إلا بالحيلة حيث لا يمكنها النصر بالسيف، فاجتذت زعماء منهم بالحيلة والرشوة والأماني فعملوا في صفها كما هي الحال في كل وقت، فاستطاعت أخيراً أن تفصم عرى وحدتهم فقام الزعيمان (ماتوسين) و (ماجولونغ) يقاتلان (سليمان دوفنسيو) وينتصران لحكومة الصين، وقد تم لهما ما يريدان وعندها أعملت الحكومة السيف بجميع المسلمين حين قتلت منهم أكثر من مائة ألف ولاذ بعضهم الفرار إلى

دولة بورما. فضعف بعدها أمر المسلمين وأخفوا أنفسهم وتواروا عن المسرح، ونشأ عندهم الانعزال والخمول، وابعدوا عن الوظائف والمراكز.

وبعد أن حصل الانقلاب في الصين عام ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) وأعلنت الجمهورية التي أعطت الحرية الدينية بعض الشيء وذلك بما فيها للمسلمين، فأملوا في تأسيس الجمعيات وإنشاء المدارس وتعليم اللغة العربية وزينوا جوامعهم بالكتابة العربية وظهروا إلى الوجود ولكن لم يطل بهم الأمر.

وأشهر مدن يونان:

١ ـ مدينة يونان حيث تقع في شرقي البلاد على مقربة من مجموعة من البحيرات فتنتشر السهول وتقوم الزراعة وهذا ما أوجد هذه المدينة. وتعدّ عاصمة الولاية، ويطلق عليها اليوم اسم (كون مينغ).

٢ ـ مدينة تالي وتقع في الغرب وعلى مقربة منها من جهة الشرق تقوم أيضاً بحيرة واسعة فتنتشر السهول وعلى مقربة منها ينبع النهر الأحمر.

٣ ـ يانغ شانغ بالقرب من حدود بورما وتعرف اليوم باسم (بوشان).

٤ ـ (تنغ ين) وتقع إلى الغرب من سابقتها فهي أقرب المدن إلى بورما وقد سميت اليوم باسم (تنغ شان).

هـذا بـالإضـافـة إلى مـدن (سـومـاو) و (مينغـتز) و (شـوكينـغ) و (كوتسينغ) و (شوتنغ) التي تقع في أقصى الشمال الشرقي.

بقية المقاطعات

أما بقية المقاطعات في الصين فعدد المسلمين فيها قليل وأثرهم ضئيل، لذا فإنا سنجملها إجمالاً حيث يكفي أن يعرف القارىء توزع المسلمين في كل مقاطعة وأهم مراكز تجمعهم.

١ـ **مقاطعة شنسي**: ويقدر عدد المسلمين بعشرة ملايين، وأهم مراكز تجمعهم مدينة (سنغان) حيث يوجد فيها سبعة جوامع وتعرف هناك باسم (سنغان فو) حيث تعني كلمة (فو) مدينة، وكذلك مدينة (تشونغ) التي فيها ثلاثة مساجد. وقد قامت ثورة المسلمين في هذه المقاطعة عام ١٢٧٧ هـ (١٢٦٠ م) بعد أن اشتعلت في كافة أرجاء الصين، وكانت الدائرة فيها على الصينيين، وتابعهم المسلمون في كل ناحية من السهل والجبل، يقتلون ويسبون ولكنهم عجزوا عن دخول مدينة (سنغان) لمناعة حصونها، ثم امتد لهيب الثورة إلى كافة أنحاء (شنسي) وقام المسلمون قيام رجل واحد، وفر الصينيون من أمامهم، وتمت للمسلمين السيطرة على ولايات (كانسو) و (شنسي) و (شانسي)، والتجأ الوثنيون إلى الكهوف، واستمرت الحروب خمسة عشر عاماً، ظن الصينيون أثناءها أنه لا أمل لهم بالعودة إلى هذه المنطقة، ولكن

الشقاق لم يلبث أن وقع بين صفوف المسلمين، فاستطاعت حكومة الصين استرداد (شنسي) ثم (كانسو) ثم معاقل (تيان شان) وشرد بقية الثوار في (زونغاريا).

وتقدر نسبة المسلمين في (شنسي) بـ ٣٦٪ من عدد سكان المقاطعة.

٢ـ مقاطعة شانسي: وتقع إلى الشرق والشمال الشرقي من (شنسي) ويُقدّر عدد المسلمين فيها بثلاثة ملايين مسلم موزعين في المدن الكبرى، واعتباراً من (شنسي) يقلّ عدد المسلمين كلما اتجهنا شرقاً للبعد عن العالم الاسلامي والتجمعات الاسلامية، ولكن يعود ليزداد نسبياً بالقرب من السواحل حيث انتشر الاسلام هناك عن طريق التجارة. وتقدر نسبة المسلمين في مقاطعة (شنسي) بـ ١٥٪ من عدد سكان المقاطعة.

٢ـ مقاطعة تشيهلي: وهي اليوم عدّة مقاطعاتٍ، ويقدر عدد المسلمين فيها بين المليون ونصف المليون، وفيها عدد كبير من المساجد، حيث يقدر عددها في مدينة بكين فقط بـ /٤٠/ مسجداً ويسمى المسجد الأعظم «نين شيه» ويُقدّر عدد المسلمين في بكين مع ضواحيها بما يقرب من مليون وتبلغ نسبتهم ١٠٪ من السكان. كذلك يكثر المسلمون شمال جدار الصين الكبير.

وقد أرسل السلطان عبد الحميد من استانبول بعثة مؤلفة من (حسن حافظ) و(علي رضا)، فأسست البعثة مدرسة في (نيو

كياي)، وكان عدد طلابها ١٢٠ طالباً وأقبل المسلمون عليها اقبالاً شديداً، لا لكون البعثة قادمة من قبل الخليفة وإنما لأنها قادمة من الأفاق الغربية التي يظن الصينيون أن النبي ﷺ قد ظهر منها، وطافت البعثة الحواضر الاسلامية، ودعت إلى الانضمام إلى الخلافة العثمانية.

وكان في بكين جريدة اسلامية اسمها «تشنغ تشونغ نغاي كوباو» أي الجريدة الوطنية.

٤ـ **شانتونغ**: ويقدر عدد المسلمين فيها بما يقرب خمسة ملايين مسلم والزيادة في هذه المقاطعة بسبب الموقع البحري فقد انتشر الاسلام فيها عن طريق التجارة، وتقدر نسبة المسلمين بـ ٦٪ من عدد سكان المقاطعة.

٥ـ **مقاطعة منشوريا**: وعدد المسلمين ربع مليون نسمة يتجمع ١٧ ألف منهم في مدينة (موكون) مركز المقاطعة التي أصبح اسمها اليوم «شن يانغ».

٦ـ **مقاطعة منغوليا الداخلية**: يعيش في جنوبها عدد من المسلمين واحصاؤهم متعذر، بينما بقية مناطقها تعدّ مقفرة، وربما لا يزيد عددهم على خمسة عشر ألفاً.

٧ـ **مقاطعة ستشوان**: يزيد عدد المسلمين فيها على مليونين ونصف المليون وتقدر نسبتهم بـ ٧,٥٪ من عدد سكان المقاطعة،

ومركز الاسلام فيها في الشمال الغربي حيث القرب من المناطق الاسلامية وأشهر المراكز الاسلامية بلدة (سونغ بان تينغ) وبلدة (كيوشيا) وفيها ١٢ إماماً و ١٠٠ (اهونغ) «عالم» ولم تقم في (ستشوان) ثورات كما في بقية المقاطعات.

٨ـ **مقاطعة هونان**: ويُقدّر المسلمون بأربعة ملايين ونصف المليون وتقدر نسبتهم بـ ٦,٥٪ من عدد سكان المقاطعة وأكبر نسبة منهم في مدينة هوي شينغ حيث يسكنها ٤٠ ألف مسلم بينما القرى المجاورة لها كلها مسلمة، ويوجد في مدينة شنغ شو ١٠ آلاف مسلم، وكذلك فإن بلدة هوي تين شي كلهم مسلمون ومساجدهم كثيرة.

٩ـ **مقاطعة هوبه**: يعيش ثلاثة ملايين مسلم في المقاطعة وتبلغ نسبتهم ٥٪ من عدد سكان المقاطعة، وأشهر مراكزهم مدينة فوشانغ ولهم ثلاثة مساجد، في مدينة (هانكو) مسجدان.

١٠ـ **مقاطعة آن هوي**: يعيش ٩٠ ألف مسلم ونسبتهم ضيئلة لا تصل إلى أكثر من ٠,٢٪ في شمالها خاصة، وفي العاصمة (انكينغ) يعيش ٦ آلاف نسمة منهم ولهم مسجدان.

١١ـ **مقاطعة كيانغ سو**: وفيها ٦٥٠ ألف مسلم أيضاً، وفي مدينة (نانغ كينغ) عشرة آلاف منهم ولهم ٢٥ جامعاً. ولا تزيد نسبتهم على ١٪ من السكان وكذلك يكثرون في مدينة (شنغهاي)

حيث المركز التجاري، وقد أصبحت مقاطعة خاصة، ويقرب عدد المسلمين فيها من مليون وتسعمائة ألف وتبلغ نسبتهم ١٣,٦٪ من عدد السكان.

وكثرتهم في هذه المقاطعة إنما تعود إلى الموقع البحري، ومدينة شنغهاي.

١٢ـ مقاطعة تشيكيانغ: وفيها مليون وسبعمائة ألف مسلم، وتعتبر (هانغ تشوفو) أكبر مدينة يقطنها المسلمون في تلك الولاية، وهي التي يذكرها جغرافيو العرب، وقد قال ابن بطوطة أنه شاهد فيها محلة اسلامية عظيمة، ولم يبق اليوم منها سوى مئات العائلات و ٤ مساجد. وتبلغ نسبة المسلمين في المقاطعة عامة ٤٪ من عدد السكان.

١٣ـ مقاطعة كوي شو: ويعيش فيها ٢٨ ألف مسلم ولهم أربعة جوامع.

١٤ـ مقاطعة كوانغ سي: ويقدر المسلمون بـ ٥٧ ألف نسمة منهم ١٨ ألف في العاصمة (كوي لين) وفي مدينة (فوتشو) ستة جوامع.

١٥ـ مقاطعة كوانغ تونغ: يعيش في هذه المقاطعة مليون وأربعمائة ألف مسلم وأكثرهم في مدينة (كانتون) حيث تعد مركز الصين الجنوبية التجاري وهي التي عرفت باسم (خانسو) كما أن

العرب قد أطلقوا عليها اسم الخنساء، أما ابن بطوطة فذكرها باسم (سين كالان) وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٢,٥٪ من عدد السكان.

١٦ـ مقاطعة كيانغ سي: وفيها ما لا يزيد على مليون وربع من المسلمين وتبلغ نسبتهم ٤٪ من عدد سكان المقاطعة.

١٧ـ مقاطعة فوكيين: وفيها مليونان ونصف من المسلمين ولهم في مدينة (آموي) ومدينة (تشانغ تشو) عدة مساجد، وكان أكثر موظفي آموي من المسلمين لشهرتهم بالاستقامة والإخلاص، وتبلغ نسبة المسلمين في هذه المقاطعة ١٠٪.

الخاتمة

هـذه أوضـاع المسلمـين في الصـين قبـل الثـورة الشيـوعيـة عـام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م)، أمـا الآن فقـد تغيـرت الأحـوال، وتبـدلت الأوضـاع، ولا يعلم الحقيقة إلا الله، إذ بينما تغيـّرت عقيـدة بعض المسلمين تحت تأثير الضغط أحياناً والتوجيـه أحيانـاً أخرى. وخـاصةً بـالنسبة إلى النشيء الجـديد، وتـارةً من أجل الـوظائف والمنـاصب، وتـارة بسبب ضعف الإيمـان حيث يـظن بعض النـاس أن الأرزاق والأعمار بيد الحكام، إذ بينما يحـدث هذا يعتقـد بعضهم أن الإسلام قد زال نهائياً عن مواقعه في تلك الأرجاء النائية، وأستقرت الشيوعية إلى النهاية هناك، وانتهى الجيل الذي يعتقد بالدين نهائيـاً، وانقرض أولئـك الـرجـال المتـدينـون، نجـد أن بعض النـاس قـد تمسكـوا بعقيدتهم، واحتفظوا بدينهم أشدّ الاحتفـاظ وإن كانـوا قد تـواروا في عبـادتهم عن الأنظار، وابتعـدوا في صلواتهم عن العيون، واحتجبـوا مع أسرتهم عن الناس، وأراد الواحـد منهم أن يموت مؤمنـاً يحب ألا يعرفه أحـد في دنياه، مجهـولاً غير معـروف، ضائعـاً غير معلوم، ولا يـطمع في معـرفة أو مسـاعدة أحـد، ويرغب أن يمـوت منفرداً بـائساً ولكن على عقيدته.

وقد بُدّل التاريخ وشُوّه، وعُدّ تاريخ المنطقة جديداً لا يتجاوز قيام الثورة، ووُضع ومُسخ بشكل لا يلائم إلا الفكرة التي تتبناها الدولة بغض النظر عن صحة الحوادث، وصدق التأريخ، وموافقة الواقع. وبدلت أسماء المدن حتى نُسيت أسماؤها الصحيحة، ويصعب الرجوع إليها اليوم في الأطالس الحديثة، وجزئت المقاطعات فضمتّ أقسام لها لا علاقة بينها وسلخت منها أجزاء تعدّ ذات صلة رئيسية بها ولا ترتبط بغيرها، وذلك لفصم الروابط بين المقاطعات المنسجمة وخاصة إذا كان يكثر فيها المسلمون، وقد رأينا كيف أخذت مناطق من مقاطعة (كانسو) وضُمّت إلى التيبت التي يقلّ فيها المسلمون جداً.

وغيرت المفاهيم الاقتصادية وأصبح الحرام حلالاً واغتصب الحكام أموال الشعب باسم القانون وأصبح مال الرجل من طريف وتالد لغيره.

وبُدّلت المفاهيم الاجتماعية فتهدّمت الأسرة وتحطّم الرباط بين الأفراد، وتعدّى المسؤولون على حرمة البيت وكرامة العائلة، وضاعت العادات والتقاليد واتّحت الحشمة والأخلاق.

وقد شعر كثير من الناس بالخواء الفكري منذ الآن رغم قصر الزمن وعدم استقرار الوضع بعد تماماً، وهم ينتظرون دعوات للدين حتى ينضووا تحت لوائها ويسيروا في ركبها، فإن الحياة المادية لا يمكن

أن تستمر إلى ما لا نهاية وإن انحرفت النفس بعض الوقت تحت تأثير من المؤثرات فلا بدّ لها من أن تعود إلى الحقّ وتثوب إلى الرشد وعندما يتهيّأ لها للتفكر والتأمل والسير على المنهج القويم الذي تمليه عليها طبيعتها ذاتها.

وعلى كلٍ فالله أعلم بالسرائر، وهو المُسيّر والمُقدّر لكل ذرة في هذا الكون، وهو أدرى متى يكون التغيير فإذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون.

فهرس الموضوعات

مقدمة الطبعة السابعة ٥
المقدمة ٩
معالم وخطوط ١٣
عبرة وتاريخ ٢٤
تركستان الشرقية: ٢٧
١ ـ الحياة الاقتصادية ٣١
٢ ـ الحياة البشرية ٣٤
بيان وتوضيح ٣٩
نهج وسبيل ٤٣
المسلمون في الصين ٥٠
كانسو ٥٧
نينغ هسيا ٦٣
يونان ٦٦
بقية المقاطعات ٧٩
الخاتمة ٨٥
فهرس الموضوعات ٨٨

مواطن الشعوب الإسلامية

صدر منها :

أ ـ في افريقية

١ ـ غينيا
٢ ـ نيجيريا
٣ ـ الصومال
٤ ـ موريتانيا
٥ ـ ارتيريا والحبشة
٦ ـ تشاد
٧ ـ تنزانيا
٨ ـ السنغال
٩ ـ أوغندة
١٠ ـ ليبيا
١١ ـ السودان
١٢ ـ جزائر القمر
١٣ ـ المسلمون في بورندي
١٤ ـ مالي
١٥ ـ سيراليون

ب ـ في آسيا

١ ـ تركستان الغربية
٢ ـ تركستان الشرقية
٣ ـ قفقاسيا
٤ ـ باكستان
٥ ـ اندونيسيا
٦ ـ اتحاد ماليزيا
٧ ـ فطاني
٨ ـ المسلمون في قبرص
٩ ـ المسلمون في الفيليبين
١٠ ـ جزر المالديف
١١ ـ أفغانستان
١٢ ـ تركيا
١٣ ـ إيران
١٤ ـ شبه جزيرة العرب
ـ عسير
ـ نجد
ـ الحجاز
ـ البحرين ـ الاحساء
ـ الكويت وقطر
١٥ ـ المسلمون في الهند الصينية
١٦ ـ خراسان